رسالة إسلامية منهجية جامعة

١٧

# الأصالة

عودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

## اقرأ في هذا الرسالة

مسائل وأجوبتها ـــــــ العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني

حكم العادة السرية ـــــــ العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز

ليسأل الصادقين عن صدقهم ـــــــ الشيخ محمد إبراهيم شقرة

علم الغيب وأحوال الكهنة والعرافين ـــــــ الدكتور محمد عبد الرحمن الخميس

السنة بين أعدائها وأتباعها ـــــــ سليم بن عيد الهلالي

نهج الدعاة ـــــــ عبد العظيم بن بدوي

الانتصار لحزب الله المفلحين ـــــــ سعد بن شايع العنزي

آفات على الطريق ـــــــ محمد بن موسى نصر

...وغيرها من المواضيع والأبواب الثابته

١٥ / ذو الحجة / ١٤١٦هـ

عَودَة إلى الكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأمة

## رسالة إسلاميَّة مَنهَجيَّة جامِعَة

صدرت هذه الرسالة في ١٥ ذي الحجة ١٤١٦ هـ
السنة الثالثة

المدير العام
**محمد بن موسى نصر**

اسرة الاصالة
محمد بن موسى نصر
سليم بن عيد الهلالي
علي بن حسن الحلبي
مشهور بن حسن سلمان

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ للَّه نحمده ونَستعينُهُ ونَستغفرُهُ، ونَعوذُ باللَّه من شرورِ أنفُسنا ومن سَيِّئاتِ أعمالنا، مَن يَهده اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلل فلا هاديَ له.

وأشهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ.

وأشهَدُ أنَّ مُحمَّداً عَبدُهُ ورَسولُهُ.

﴿ يا أيُّها الَّذين آمَنوا اتَّقوا اللَّه حقَّ تُقاتهِ ولا تَموتُنَّ إلا وأنتم مُسلمون ﴾ [ آل عمران: ١٠٢ ].

﴿ يا أيُّها النَّاس اتَّقوا ربَّكُم الَّذي خَلَقَكُم من نفسٍ واحدةٍ وخَلَقَ منها زَوجَها وبَثَّ منهُما رجالاً كثيراً ونساءً واتَّقوا اللَّه الَّذي تساءَلونَ به والأرحام إنَّ اللَّه كانَ علَيكُم رَقيباً ﴾ [ النساء: ١ ]

﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللَّه وقولوا قَولاً سَديداً يُصلِح لَكُم أعمالَكُم ويَغفِر لَكُم ذنُوبَكُم ومَن يُطعِ اللَّه ورَسولَهُ فَقد فازَ فوزاً عَظيماً ﴾ [الأحزاب: ٧١ ].

أما بَعد:

فإنَّ أصدَقَ الحديثِ كلامُ اللَّه، وخَيرَ الهَديِ هَديُ مُحمَّدٍ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم.

وشرَّ الأُمورِ مُحدَثاتُها وكلَّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ وكلَّ بِدعةٍ ضَلالةٌ وكلَّ ضَلالةٍ في النَّار.

# المحتوى

فاتحة القول : **تعظيم شأن العلماء.**

التحرير ..... ٦

من هدي التنزيل : **الاستقامة طريق السلامة.**

علي بن حسن ..... ١٠

من هدي النبوة : **الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة على سيد الكائنات صلى الله عليه وسلم .**

مشهور بن حسن ..... ١٢

من علوم السنة : **السنة بين أعدائها وأتباعها** (الحلقة الثالثة).

سليم بن عبد الهلالي ..... ١٦

مباحث في العقيدة : **علم الغيب وأحوال الكهنة والعرافين .**

د . محمد بن عبد الرحمن الخميس ..... ٢٨

فرق ومذاهب: **السبأية.**

يوسف خليفة ..... ٣٢

وصايا وتوجيهات: **رسالة عاجلة إلى العلماء والدعاة.**

سعود بن ملوح العنزي ..... ٣٨

توجيهات إسلامية: **نهج الدعاة** (الحلقة الأولى).

عبدالعظيم بن بدوي ..... ٤٠

أخلاق ورقائق: **ليسأل الصادقين عن صدقهم .**

محمد إبراهيم شقرة ..... ٤٨

آفات على الطريق: **أمجاد الذات** (الحلقة الخامسة).

محمد موسى نصر ..... ٥٧

تزكية وسلوك: **المعصية وأثرها السيىء في المجتمع.**

رائد بن صبري بن أبي علفة ..... ٦٠

كتب وكتاب: **غثاء الكتابة .**

يزيد حمزاوي ..... ٦٦

فتاوي: **مسائل وأجوبتها .**

العلامة المحدّث محمد ناصر الدين الألباني ..... ٧٠

فقه: **حكم العادة السرية .**

العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز ..... ٧٢

قواعد وأصول : **فقه الاختلاف.**

**على ضوء الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح.**

سالم بن صالح المرفدي ..... ٧٨

تعقبات وردود : **الانتصار لحزب الله المفلحين .**

سعد بن شايع العنزي ..... ٩٠

كلمة وبيان : **كلمة حول الجهاد .**

يوسف سليمان ..... ٩٦

الدعوة والدعاة : **نماذج من سيرة الدعاة إلى الله** ( الحلقة الثانية ) .

د. صالح بن غانم السدلان ..... ٩٩

بريد ورسائل : **القراء منهم وإليهم .**

التحرير ..... ١١٢

**مسك الختام :**

التحرير ..... ١١٤

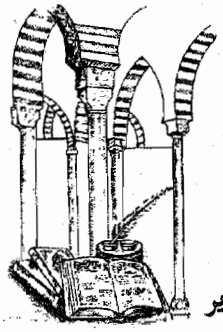

# تعظيم شأن العلماء

التحرير

**لقد** أولى الإسلامُ العلمَ والعلماءَ أهميةً بالغةً ، وأعطاهما منزلةً سامقةً ، قال تعالى: ﴿ يرفعِ الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ فبيَّن الله في هذه الآية رفعة العلماء من بين الأمة على سائر الناس ، وأنَّ لهم درجات فوق درجات غيرهم بدرجات .

كيف لا ، وهم أهل خشيته وأهل ولايته ؟! قال تعالى : ﴿ إنَّما يخشى اللهَ مِنْ عباده العلماءُ ﴾ ، فالعلماء الربانيون العاملون ، هم الذين يخشون الله حقًّا بشهادة الله لهم .

ومن لا يخشى الله فليس بعالمٍ ، ولو حاز أعظم الشهادات ، وأعلى الدَّرجات العلمية .

ولما كانت الحاجةُ إلى العلم شديدة حتى في أظلم عصور الجهل بدأ الله بالعلم ، مع أنَّ الحاجةَ إلى دعوة الناس للأخلاق والفضائل آكد وألزم ، قال تعالى : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربُّك الأكرم الذي علَّم بالقلم علَّم الإنسان ما لم يعلم ﴾، فلشرف العلم بدأ الله به ، ولأنه أصل الفضائل ومنبع المحاسن بدأ الوحي به .

وأصل صلاح البشرية بالعلم ، فالعلمُ هو وسيلة الإصلاح الأُولى ، قال تعالى : ﴿ هو الذي بَعَثَ في الأُمِّيِّين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويُزَكِّيهم ويعلِّمُهم الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانُوا مِنْ قَبلُ لفي ضَلالٍ مُبينٍ ﴾ .

وقد امتنَّ اللهُ على عباده بالعلم مشيراً إلى عظم هذه النِّعمة ، فقال: ﴿ والله أخرجكم من بُطُونِ أُمَّهاتِكم

لا تعلمون شيئًا وَجَعَلَ لكم السَّمعَ والأبصارَ والأفئدةَ ﴾ .

وجعل اللهُ العلماءَ شهداءَ في أرضه على توحيده وعبادته ، قال تعالى : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكةُ وأُولو العِلمِ قائمًا بالقِسْط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ ، فبدأ بنفسه وثنّى بملائكة قُدُسه ، وثلَّث بأهل العلم من خلقه .

وبيَّن اللَّهُ سبحانه أنَّ التربية الربانية إنما تحصل بالتعليم والتدريس، القائمَين على المنهج الصحيح ، قال تعالى : ﴿ ولكنْ كُونُوا ربّانيِّين بما كُنتم تُعلِّمون الكتابَ وبما كُنْتم تَدْرسُون ﴾ .

وجعل الله العلماء خلفاء رسله وورثة أنبيائه ، قال صلى الله عليه وسلم : « إنَّ العُلماءَ ورثةُ الأنبياء وإنَّ الأنبياءَ لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا ، وإنَّما ورَّثوا العِلمَ، فمن أخذ به أخذ بحظّ وافرٍ »

وطاعتُهم فيما أصابوا به الحقَّ واجبةٌ ، لأنهم هم أُولو الأمر الديني، الّذين أمر الله بطاعتهم بعد طاعته سُبحانه وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأَمر منكم ﴾ .

وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بتبجيل العلماء وتوقيرهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : « ليس منَّا مَنْ لم يعرف لعالمنا قدره » .

فالواجب على الأُمة تعظيمُ شأنِ العلماءِ وتقديمُهم ، والكفُّ عن زلاتهم وهفواتهم ، وهفواتُهُم الاجتهادية وإنْ كَثُرتْ فلا تحطُّ من أقدارهم ، ولا تُسوِّغ لأحد نبزهم أو لمزهم أو التطاول عليهم ، فالمجتهد مأجور أصاب أم أخطأ ، والله لم يتعبد الأمة بزلات العلماء : « فكلُّ رجل يُؤخذُ من قوله ويُردُّ عليه ، إلا النبيّ صلى الله عليه وسلم » كما قال الإمام مالك رحمه الله ، ولكنَّ الردَّ ينبغي أن يكونَ بأدبٍ ، ورفقٍ ونُصحٍ ، ومحبةٍ، لا بتشهيرٍ ، وقذف، ولعن ، وتكفير ، وتحقير ، فكل ذلك ليس من أخلاق المسلمين.

وقد نبتت في هذا الزمان نابتةُ سوء ؛ أُناسٌ لا همَّ لهم إلا الطَّعن في العلماء، والتحريض عليهم ، والتنفير منهم ، فتارة يتهمونهم

بالعمالة ! وتارة يتهمونهم بالجهل بفقه الواقع ! وتارة بأنهم أتْباع ذيل بغلة السلطان ! وتارة بأنهم لا يعرفون إلا الحيض والنفاس، كل ذلك من أجل أنْ يَعْلوا على ظهورهم ، ويصرِفُوا وجوهَ النَّاس إليهم !!

أَمَا عَلِمَ هؤلاء أنَّ مِنْ علامة أهل البدع الوقوعَ في أهل العلم ، العاملين، الربانيين ، الذين ما شَهِدَتْ عليهم الأُمةُ إلا خيراً؟

وقد استغلَّ هؤلاء – أَصْلَحَهَم الباري – كلَّ وسيلةٍ للطَّعن في علمائنا ، وذلك من خلال المنابر ، والصُّحُف ، والأشرطة ، وأحدثوا في الأُمة فتَنًا ، لا قِبَلَ للمسلمين بإطفائها ، أو إخمادها ، ورحم الله الحافظَ ابن عساكر حيث قال : « لحوم العلماء مسمومة ، وعادة الله في منتقصهم معلومة ، ومن تناول العلماء بالثَّلبِ ، ابتلاه الله بموت القلب » .

وإنَّ عدمَ الإصغاء لتوجيهات العُلماء ونصائحهم – وبخاصّةٍ في القضايا الكِبَار – يُوجِد الفتنَ ، والدَّمار ، والغلوَّ ، والانحراف ، والتاريخ أكبرُ شاهدٍ على ذلك قديمًا وحديثًا .

فهل تدرك الأُمةُ منزلةَ علمائها المخلصين العاملين ، ليأخذوا بيدها إلى سبيل الرَّشاد ؟!

وما ذلك على الله بعزيز .

❑❑❑❑❑

قال صالح بن جَنَاح :

تعلَّم إذا ما كنت ليس بعالمٍ ... فما العلم إلا عند أهل التعلُّم

تعلَّم فإن العلم زينٌ لأهله ... ولن تستطيعَ العِلْم إن لم تعلَّم

تعلم فإن العلم أزين بالفتى ... من الحلّة الحسناء عند التكلُّم

ولا خير فيمن راح ليس بعالم ... بصير بما يأتي ولا متعلِّم

# المطلب الأول

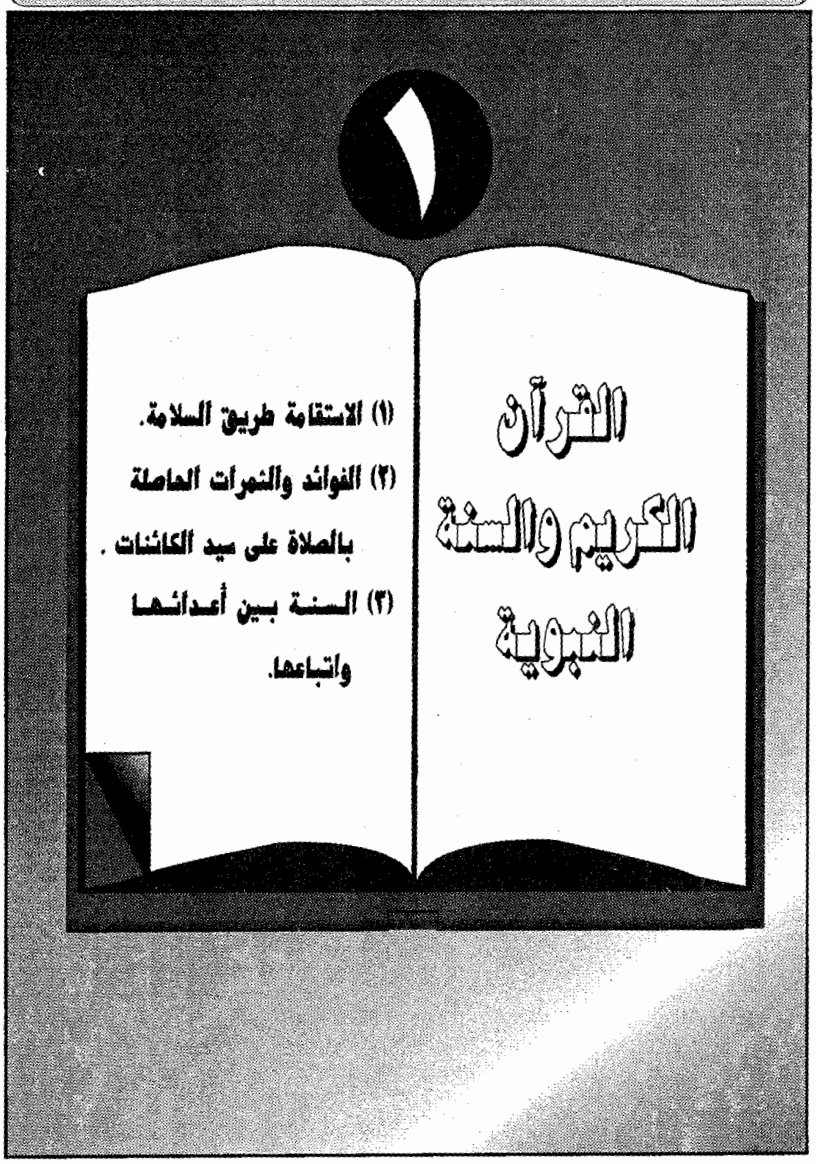

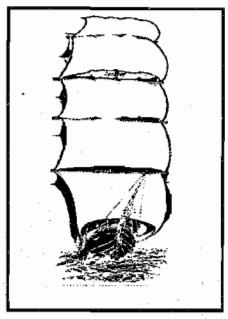

# الاستقامة طريقُ السَّلامة

علي بن حسن

يَدْعو المسلمُ ربَّهُ في كُلِّ يومٍ وليلةٍ بضعَ عشرةَ مَرّةً (دعاءً واجباً مفروضاً) أنْ يهديَهُ سويَّ الصِّراط..، قائلاً بعد الحمد والثناء والتعظيم والتَّبجيلِ – وهو ما تحويه آياتُ فاتحة الكتاب–: ﴿اهْدنا الصِّراطَ المستقيم﴾ بقلبٍ مُخْبِتٍ، ونفسٍ خاشعة.

وبالرُّغم من أنَّ كلمة (الصِّراط) وحدَها مُشعرةٌ بالاستقامة والسَّداد، والبُعد عن الانحراف والعوَج، إلاَّ أنَّ النصَّ القرآنيَّ لم يكتف بذلك، بل أكَّد وصفَ الصِّراط بالاستقامة تثبيتاً لمعناه، وتأكيداً لبيان حقيقة أثره في نفسه.

والكلامُ في الاستقامة، وأثرها في سلامة القلب، وخُضوع الجوارح، كثيرُ الجوانب ومُتَعَدِّدُ الشُّعَب، لكنَّ آيةً من كتاب اللّه سبحانه أعطت – بما تضمّنته من جوامع المعاني – قدْراً كبيراً من الإيضاحِ والبيانِ والظهورِ؛ ألا وهي قولُه تعالى في سورة هود: ﴿فاستَقِمْ كما أُمرتَ ومَن تَاب مَعَكَ ولا تَطْغَوا إنّه بما تعملون بصير﴾.

فقولُهُ سبحانَه: ﴿فاستَقِمْ﴾ فعلُ أمرٍ مُلزِمٌ لكلِّ مَن رضِي باللّه ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمّدٍ صلى الله عليه وسلم نَبيّاً ورسولاً، أن يكونَ مستقيمًا في علمه، ومستقيمًا في عَمله، مستقيمًا في ظاهره، ومستقيمًا في باطنه.

ولئن كان معنى الاستقامة ظاهراً – أيضًا – في مدلول الالتزام والطاعة، لكنَّ النصَّ القرآنيَّ أكَّد أنَّ هذه الاستقامة لا بُدَّ أنْ تكونَ وَفْقَ (الأمر)، دُون أدْنَى انحرَاف إلى هوًى، أو رأيٍ، أو عادة، أو تَقْليد؛ ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾

بالكتاب والسُّنَّة، وبالهَدْي الصَّحيح؛ كما قال ابنُ عُيَيْنَةَ: «استقمْ على الأمر»، وقال ابنُ قُتيبةَ: «امْضِ على ما أُمِرْتَ به»(١).

﴿ وَمَن تابَ مَعَكَ ﴾ ممّن أقبلَ على اللّه سبحانه؛ بالتوبة، والإنابة، والرجوع عن المعصية على درجاتها كافّةً.

وهذه المعيّةُ - هُنَا - يُراد بها أيضًا الاعتصامُ وعدمُ التفرُّق، لأنَّ المؤمنين لا يكْمُلُ إيمانُهم - حقًّا - إلا بالاجتماع، ولا تصلُحُ شؤونُهم - صدقًا - إلاّ بالتوحُّد.

﴿ ولا تَطْغَوْا ﴾ فَتُجاوزوا الحدَّ المرسومَ لكم بضوابطه الشرعيَّة المعتبرة، سواءٌ أكان هذا التَّجاوُزُ غلوًّا في مُخالفةٍ، أو تعصُّبًا لرأيٍ، أو تلبُّسًا ببدعةٍ.

وقد اختلَفَتْ عبارات أئمّة السَّلَف(٢) في معنى الطغيان هنا:

فورد عن ابن عبّاس قولُهُ: «لا تَطْغَوْا في القرآن، فَتُحلُّوا وتُحَرِّمُوا ما لم آمُرْكم به».

وورد عن ابن زيد أنه قال: «لا تعصوا ربَّكم ولا تُخالفوه».

وورد عن مُقاتل قولُهُ: «لا تخلطوا التَّوحيدَ بشركٍ»(٣).

ولئن اختلفت العبارات هَا هُنا، لكنها جميعًا تدلُّ على معنًى واحدٍ مُؤتلفٍ غير مُختلف؛ ألا وهو مُجاوزة الحدّ.

﴿ إنَّه بما تعملون بصيرٌ ﴾ لا يغيبُ عن بصرِه شيءٌ، ولا تخفى عليه خافيةٌ، فيعلمُ ظواهركم، ولا تعزُبُ عن علمه وبَصَرِه دواخلُكُم وبواطنُكم، فيعلمُ المُصلحَ من المُفسِد، ويعلمُ الصَّادقَ من الكاذب.

فالاستقامةُ التي أُمر بها المسلمُ استقامةٌ عامّةٌ شاملَةٌ؛ فكما أنّها تتوجَّهُ إلى عمله وجوارحه، فإنّها - أيضًا - مُتَوَجِّهةٌ إلى علمه ونيَّته، ممّا سيؤثّر - بعد - في سلوكه مع نفسه، ومُعاملته مع ربِّه، ومُعاشرته مع إخوانه. □

□□□□□□

(١) «زاد المسير» (٤/١٦٤).

(٢) كما في المصدر السابق نفسه.

(٣) وقع في «زاد المسير»: بشك، ولعلّ الأنسب ما أثبتُّهُ.

# الحاصلة
# بالصلاة على سيد الكائنات

« صلى الله عليه وسلم »

مشهور بن حسن

للصلاة على رسول اللّه صلّى الله عليه وسلم فوائد وثمرات وبركات في الدّارين، نجمعها [1] في الآتي:

**الأولى**: امتثال أمر اللّه سبحانه وتعالى.

قال الله تعالى: ﴿إن اللّه وملائكته يصلُّون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلُّوا عليه وسلّموا تسليماً﴾

**الثانية**: موافقته سبحانه في الصلاة عليه صلى اللّه عليه وسلم: وذلك وارد في الآية السابقة، وفي أحاديث كثيرة، يأتي بعضها.

والصلاتان مختلفتان، فصلاتنا عليه صلّى اللّه عليه وسلم دعاء وسؤال، وصلاة الله تعالى عليه ثناء وتشريف، وقد فصل هذا الإمام ابن القيم في «جلاء الأفهام» وكذا شيخه ابن تيمية في «تفسيره» (٤/٥٩٢).

**الثالثة**: موافقته الملائكةَ في ذلك، وذلك وارد في الآية السابقة.

**الرابعة**: حصول عشر صلوات من اللّه على المصلِّي مرة.

أخرج مسلم في «صحيحه» (رقم ٤٠٨) عن أبي هريرة أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم قال: «من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً».

**الخامسة**: أنه يكتب له عشر حسنات.

ورد ذلك في بعض طرق حديث أبي هريرة السابق، أخرجه أحمد (٢/٢٦٢)، وإسماعيل القاضي في: «فضل الصلاة على النبي صلّى اللّه عليه وسلم» (رقم١١)، وأبو يعلى (١١/ رقم ٦٥٢٧)، وابن حبان(٣/رقم٩٠٥)، وإسناده حسن.

---

(١) وهي مذكورة – عدا التاسعة – في «جلاء الأفهام» لابن القيم، وسردها، دون الأدلة.

**السادسة** : أنه يرفع له عشر درجات .

**السابعة** : أنه يمحى عنه عشر سيئات .

أخرج النسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم ( ٦٢ ) بإسنادٍ صحيح عن أنس مرفوعاً :

«مَن صلى عليَّ صلاةً واحدةً، صلى اللّه عليه عشر صلوات ، وحطَّ عنه بها عشر سيّئات ، ورفعه بها عشر درجات» .

**الثامنة** : أنها سبب لصلاة الله على المصلي وصلاة ملائكته عليه .

**التاسعة** : الخروج من الظلمات إلى النور .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى :« إنَّ الذِّكر يوجب صلاة اللّه عز وجل وملائكته على الذاكر ، ومن صلى اللّه تعالى عليه وملائكته فقد أفلح كلَّ الفلاح ، وفاز كل الفوز ، قال سبحانه وتعالى :﴿ هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور ﴾، فهذه الصلاة منه تبارك وتعالى ومن ملائكته ، إنما هي سبب الإخراج لهم من الظلمات إلى النور، وإذا حصلت لهم الصلاة من اللّه تبارك وتعالى وملائكته ، وأخرجوهم من الظلمات إلى النور، فأيُّ خير لم يحصل لهم؟! وأيُّ شرٍّ لم يندفع عنهم ؟! فيا حسرةَ الغافلين عن ربِّهم ماذا حُرموا من خيره وفضله ؟!، وبالله التوفيق »[1] .

قلت : وصلاة اللّه تعالى وملائكته يتحصل عليها العبدُ إنْ صلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، وحينئذ يدخل ضمن قوله : ﴿ هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور ﴾ .

ولي جزء مفرد – يسر الله إتمامه – في أسباب الخروج من الظلمات إلى النور، وعنوانه « فتح من العزيز الغفور » .

**العاشرة** : أنها سبب لطيب المجلس ، وأن لا يعود حسرةً على أهله يوم القيامة .

أخرج ابن حبان في «صحيحه» ( ٣ / رقم ٥٩١ ) بسندٍ صحيح على شرطٍ

---

( ١ ) «الوابل الصيب» ( ص ١٠٠ )

مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم:« ما قعد قوم مقعداً لا يذكرون الله فيه ، ويصلُّون على النبي صلّى اللّه عليه وسلم، إلا كان عليهم حسرةً يوم القيامة، وإن دخلوا الجنة للثواب » .

**الحادية عشرة** : أنها سبب لكفاية الله العبد ما أهمَّه .

أخرج الترمذي ( ٢٤٥٧ )، وأحمد ( ٥ / ١٣٦ )، والحاكم ( ٢ / ١٥٣ )، وعبد بن حميد في « المسند » ( رقم ١٧٠ – المنتخب )، و إسماعيل القاضي في « فضل الصلاة على النبي صلّى اللّه عليه وسلم »( ١٤ )، ومن طريقه السبكي في « طبقاته » ( ١ / ١٧٣ )، وابن شاهين في « الترغيب والترهيب » ( الرقم ٢١ ) عن أبي بن كعب قال: « كان رسول الله صلى الله عيه وسلم إذا ذهب ربع الليل ، قام ، فقال : « يا أيها الناس ! اذكروا الله ، اذكروا الله ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموتُ بما فيه ، جاء الموت بما فيه » .

قال أُبيٌّ : قلت : يا رسول الله ! إني أُكثر الصَّلاةَ عليك ، فكم أجعل لك من صلاتي ؟ قال : ما شئت . قلت : الربع ؟ قال : ما شئت ، وإن زدتَ فهو خير.قلت: النصف ؟ قال : ما شئت ، وإن زدتَ فهو خير . قال : أجعل لك صلاتي كلها قال : إذاً تُكفى همَّك ، ويغفر لك ذنبك » .

وإسناده فيه كلام، عبدالله بن محمد بن عقيل ، ضعّفه الأكثر ، ومشاه جماعة من الأئمة الكبار ، كأحمد ، وابن المديني ، والترمذي .

وللحديث شاهد عن حبان بن منقذ عند الطبراني ( ٤ / رقم ٣٥٧٤ ) ، وإسناده حسن في الشواهد ، وانظر:« مجمع الزوائد » ( ١٠ / ١١٨ ) .

وسبب كفاية الله عبده ما أهمه: صلاته – عز وجل – عليه ، المتحصِّلة من صلاة العبد على نبيّه صلوات اللّه وسلامه عليه.

**الثانية عشرة**: أنها تَهْدي صاحبها إلى طريق الجنة، وتخطىء بتاركها عن طريقها.

أخرج التيمي في « الترغيب » ( رقم ١٦٥٨–ط زغلول ) و ( رقم١٦٨٥–ط دارالحديث )، وابن الأعرابي في « معجمه »، ( رقم ٣٥٤ )، والبيهقي في « السنن » ( ٩ / ٢٨٦ )، وفي « الشعب » ( ٢ / رقم ١٥٧٤–ط زغلول ) و( ٤ / ٢٠٦ الهندية )،

و«الدعوات الكبير» (١٥٤)، وابن شاهين في «الجزء الخامس من الأفراد» (رقم ٨١)، وابن الجراح في «الخامس من الأمالي»، والرشيد العطار، وأبو موسى المديني في «الترغيب» كما في «القول البديع» (ص ١٤٦) بإسنادٍ حسن عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: «من نسي الصلاة عليَّ خَطىء طريق الجنّة». وهو صالح في الشواهد .

**الثالثة عشرة** : أنها سبب لإبقاء الله سبحانه الثناء الحسن للمصلي عليه بين أهل السماء والارض ، فإن المصلِّي طالبٌ من اللّه أن يثني على رسوله ويكرمه ويشرِّفه ، والجزاء من جنس العمل ، فلا بُدَّ أن يحصل لِلْمُصَلِّي نوع من ذلك .

**الرابعة عشرة** : أنها سبب للبركة في ذات المصلِّي وعمله وعُمُره وأسباب مصالحه، لأنَّ المصلي داعٍ ربَّه أن يبارك عليه وعلى آله ، وهذا الدُّعاء مستجاب، والجزاء من جنسه .

**الخامسة عشرة** : أنها سبب لنيل رحمة الله له ، لأن الرحمة إما في معنى الصلاة ، كما قاله طائفة ، وإما من لوازمها وموجباتها على القول الصحيح ، فلا بُدَّ للمصلي عليه من رحمة تناله .

وهناك ثمرات وبركات ، بعضها صحَّ في الأثر ، والآخر له حظ وافر في النَّظر المنضبط بأصول أهل السنة والجماعة .

وهنالك ثمرات واردة في أحاديث ضعيفة مرسلة ، نأتي – إن شاء اللّه تعالى – على ذكر ما تبقى من القسمين الأولين في عددٍ قادمٍ ، يسر اللّه ذلك بمنه وكرمه .

وصلى اللّه وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه .

□□□□□

# السنة بين أعدائها و أتباعها

الحلقة الثالثة

سليم بن عيد الهلالي

**السنّة وحي يوحى:**

إنَّ السنّةَ المطهَّرةَ محفوظةٌ بحفظ الله لها ، فهي والقرآنُ وحيٌ من لدن حكيمٍ عليمٍ.

وهي مسألةٌ أحببتُ التنبيه عليها لأهمّيتها ، لأنّها تؤكّد أنَّ السنَّة المطهرة محروسةٌ من الضَّياع محفوظةٌ من الزَّوال مأمونة الاختلاط بغيرها وهاك أيّها المسلم! الأدلّةَ تترى لتدحض باطلَ مَنْ أراد بالسنّة سوءًا!، فيطمئنَّ قلبك ويزدادَ إيمانُك ، فَتَعَضَّ بالنَّواجذِ على هدي نبيِّك محمد صلى الله عليه وسلم وسنّةِ خلفائه الراشدين المهديين.

**أوَّلاً: القرآن الكريم:**

أ- قال تعالى: ﴿واذكروا نعمةَ الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به﴾.

وقال جلَّ ثناؤه: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً﴾.

فالمرادُ بالحكمة في هذه الآيات البيّنات: سنّة الرسول صلى الله عليه وسلم ، بدليل قوله تعالى: ﴿واذْكُرْنَ ما يُتلى في بُيوتكنَّ من آياتِ اللهِ والحِكمةِ﴾ وهل كان يُذكر في حجراتِ الرسول صلى الله عليه وسلم إلاّ القرآن الكريم وسنّته المطهرة؟!

قال الإمام الشافعيّ رحمه الله:

«فذكر اللهُ الكتابَ وهو القرآن ، وذكر الحكمة ، فسمعتُ من أرضى من أهل العلم يقول: الحكمة سنة رسول الله ، وهذا يشبه ما قال ، والله أعلم ، لأنَّ القرآن ذُكر وأُتبعته الحكمة ، وذَكَر اللهُ مِنَّتَهُ على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة ، فلم يَجُز - والله أعلم - أن يقالَ: الحكمةُ ها هنا إلاّ سنة رسول الله ، وذلك أنّها مقرونة مع كتاب الله، وأن الله افترض طاعة رسوله ، وحتَّم على النّاس اتباع أمرِه ، فلا يجوز أن يقال لقول: فرض، إلا لكتاب الله ثم

سنة رسوله» .[1] ا.هـ

وقال إمام أهل التفسير ابن جرير الطبري – رحمه الله – «الحكمة ، يعني : وما أنزل عليكم من الحكمة، وهي : السنن التي علمكموها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وسنّها لكم»[2] .

وقال القرطبيُّ – رحمه الله – : «الحكمة هي السنّة المبيّنة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، مراد الله فيما لم ينصّ عليه في الكتاب»[3] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – « .... والحكمة ، قال غير واحد من السّلف : هي السنّة ، وقال أيضاً طائفة كمالك وغيره : هي معرفة الدين والعمل به ، وقيل غير ذلك .

وكلُّ ذلك حقٌّ ، فهي تتضمّن التمييز بين المأمور والمحظور ، والحقِّ والباطل ، وتعليم الحقِّ دون الباطل ، وهذه السنة التي فُرِّق بها بين الحقّ والباطل ، وبينّت الأعمال الحسنة من القبيحة ، والخير من الشرّ »[4].

وقال الشوكانيُّ – رحمه الله – : « والحكمة ، قال المفسرون : هي السنّة التي سنّها لهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ».[5]

ويعضد أقوال هؤلاء الأئمّة أنَّ الله سبحانه وتعالى بيّنَ في كتابه أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم بُعثَ ليعلّم النّاس الكتاب والحكمة ويزكّيَهم، قال تعالى : ﴿لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بَعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلّمهم الكتابَ والحكمةَ وإن كانوا من قبل لفي ضلالٍ مبين﴾.

وقال :﴿هو الذي بعثَ في الأُمّيينَ رَسُولاً منهم يتلُو عليهم آياته ويُزكّيهم وَيعَلِّمهم الكتابَ والحكمةَ وإن كانوا من قبل لفي ضلالٍ مبين﴾ .

وهل علَّمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين إلاّ القرآن الكريم والسنّة المطهرة؟!

وبذلك تظهرُ دلالةُ الآيات بأنَّ الحكمة التي أنزلها اللهُ مع القرآن الكريم هي سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ب– قال تعالى : ﴿إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون﴾ ، وليس من شكٍّ أنَّ الذكر أول ما يشمل كتاب الله

(١) «الرسالة »(ص٧٨) (٢) «جامع البيان في تفسير القرآن »( ٢/ ٢٩٦) . (٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٣/ ١٥٧) . (٤) «معارج الوصول» (ص ٢٢) (٥)« فتح القدير» (١/ ٢٤٢)

العزيز ، لقوله جلَّ شأنه : ﴿ وهذا ذِكْرٌ مبارَكٌ أنزلناهُ أفأنتم له منكرون ﴾ وقوله : ﴿ إنَّ الذين كفروا بالذِّكر لمّا جاءهم وإنّه لكتاب عزيزٌ. لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خَلفِه تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ ﴾.

وقوله : ﴿ وإنه لَذِكْرٌ لَكَ ولِقومِك وسوفَ تُسألون ﴾.

وعند التحقيق يشمل السنّة النبويّة الشّريفة ، لقوله تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للنّاس ما نزل إليهم ولعلّهم يتفكّرون ﴾،لأنَّ الذكر المذكور في هذه الآية مُنْزَلٌ ليبين للنّاس ما نُزِّل إليهم، فهو تبيانٌ وتفصيلٌ ، لِمَا نزَّله الله مجملاً ، وهذا أمر السنّة ، فقد شَرَحتْ مُشكلَه ، وفصَّلَت مُجملَه ، وبيَّنَتْ معناه.

( وبيان ذلك ) : أنَّ الصلاة والزكاة ذُكرتَا في القرآنِ مُجْمَلَتَين فجاءت السنّة وبَيَّنَتْ مواقيتها ، ومقاديرها ، وكيفيتها ، وعدد ركعاتها ،و ... وكذلك جلُّ شرائع الإسلام.

وبذلك نجزم أنَّ السنّة تدخلُ في عمومِ قوله تعالى : ﴿ إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون ﴾.

ونقتصر هنا على شطر الآية الأُولى، وسيأتي الكلامُ على الأخير قريباً إن شاءَ الله تعالى.

ج- قال تعالى : ﴿ وما يَنطقُ عَنِ الهَوى . إن هو إلا وحي يوحى ﴾ ، إنَّ هذه الآيات تشمل كلَّ ما ينطق به الرسول ، ولم تُفرِّق بين قرآنٍ وسنّةٍ ، فهي على عمومها حتّى يأتي نصٌّ يخصصها بالقرآن ويخرج السنّة ، وهيهات هيهات!

ويزيد الآية وضوحًا : أنَّ القرآن الكريم قرر في غيرِ موضع أنَّ الرسول ما عليه إلاّ البلاغ المبين ، كقوله تعالى : ﴿ فإنّما عَليه ما حُمّل وعليكم ما حُمِّلتُمْ وإنْ تُطيعوه تَهتدوا وما على الرّسول إلا البلاغُ المبين ﴾.

بل إنَّ الله جلَّ جلاله أمر الرسول صلّى اللّه عليه وسلم أن يتبع الوحي : ﴿ واتَّبعْ ما يُوحَى إليكَ من ربِّك ﴾ وأمره أن يخبر النّاس بهذه الحقيقة : ﴿ قل إنّما أتبع ما يُوحى إليّ مِنْ ربّي ﴾.

**ثانياً : السُّنّةُ :**

أ- عن المقدام بن معدي كَرب رضي الله عنه قال : قال رسول اللّه صلّى الله عليه وسلم :« ألا إنّي أُوتيتُ الكتابَ ومثله معه »(١).

(١) مضى تخريجه.

١- قال الخطابي - رحمه الله - في «معالم السنن»:

«يحتمل وجهين:

أحَدهما: أنَّ معناه أنّه أُوتي من الوحي الباطن غير المتلوّ، مثل ما أُعطي من الظاهر المتلوّ.

والثاني: أنَّه أُوتي الكتاب وحيًا يُتلى، وأُوتي من البيان مثله، أي: أُذن أن يبيّنَ ما في الكتاب فيعمّ ويخصّ، ويزيد عليه ويشرح ما في الكتاب، فيكون في وجوب العمل به ولزوم قَبوله، كالظاهر المتلوِّ، من القرآن».

٢- قال البغويّ - رحمه الله - في «شرح السنّة» (١/ ٢٠٢): «أراد به: أنّه أُوتي من الوحي غير المتلوِّ، والسنن التي لم ينطق القرآن بنصها، مِثْلَ ما أوتي من المتلوِّ؛ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ويُعلّمهم الكتابَ والحكمة﴾. فالكتاب هو القرآن، والحكمة، قيل: هي السنّة.

أو أُوتي مِثْلَهُ في بيانه، فإنَّ بيانَ الكتابِ إلى الرسولِ صلّى اللّه عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذِّكرَ لتُبيّنَ للنّاسِ ما نُزّل إليهم﴾».

٣- قال ابن حزم - رحمه الله - في «الإحكام» (٢/ ٢٢):

«صدقَ النبيّ صلى الله عليه وسلم، هي مثل القرآن، ولا فرق في وجوب طاعة كلٍّ ذلك علينا، وقد صَدَّق اللهُ تعالى هذا القول، إذ يقول: ﴿مَن يُطعِ الرَّسولَ فقد أطَاعَ الله﴾.

وهي أيضاً مثلُ القرآن في أنَّ كلَّ ذلك وحي من عند الله تعالى، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى﴾.

عن أبي هريرة وزيد بن خالد - رضي الله عنهما - قالا:

كنّا عند النبيِّ صلّى اللّه عليه وسلم، فقام رجل، فقال: أنشُدك الله ألا ما قضيتَ بيننا بكتابِ الله فقام خصمُه، وكان أفْقَهَ منه، فقال: اقضِ بيننا بكتابِ الله وائذن لي، قال: قل، قال: إنَّ ابني هذا كان عسيفاً[1] على هذا، فزنى بامرأته، فافتديتُ منه بمئة شاة وخادم، ثمّ سألت رجالاً من أهل العلم فأخبروني أنّ على ابني جلد مئة وتغريب عام، وعلى امرأته الرَّجم، فقال النبيّ صلّى اللّه عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لأقضينَّ بينكما

(١) هو الأجير.

بكتابِ الله جلَّ ذكره ، المئة شاةٍ والخادم ردٌّ ، وعلى ابنِك جلدُ مئة وتغريب عام، واغدُ يا أُنيسُ ! على امرأة هذا ، فإن اعترفت فارجمها »، فغدا عليها، فاعترفت ، فرجمها ». (١)

قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (١٣/ ٢٤٣ ):

« واقتصر البخاري هنا عليه لدخوله في غرضه من أنَّ السنّة يطلق عليها( كتاب الله ) ، لأنّها بوحيه وتقديره ، لقوله تعالى: ﴿ وما ينطقُ عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى ﴾ ».

قلت : رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالجلدِ والتغريب ، وليس التغريب في القرآن ، فظهر أنَّ سنَة رسول الله يطلق علها كتاب الله، فافهم .

**ثالثاً : أقوال أهل العلم :**

١- قال التابعيُّ الجليل حسّانُ بن عطيّة - رحمه الله -:

« كان جبريل ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسُّنَّة، كما ينزلُ بالقرآن ، يعلمه إياها كمايعلمه القرآن » (٢)

٢- قال الخطيب البغدادي - رحمه الله - في « الفقيه والمتفقه » (١/ ٩٠-٩١ ):

« قال بعض أهل العلم : لم يَسُنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سُنَّةً إلاّ بوحي » ونقل ذلك عن أجلاء السلف مثل : طاوس اليماني ، وحسان بن عطيّة، و الأوزاعيّ ، وغيرهم .

٣- قال ابن القيّم - رحمه الله - في « مختصر الصواعق المرسلة » (٢/ ٣٤٠ ).

« إنَّ الله سبحانه وتعالى أنزل على نبيّه الحكمة كما أنزل عليه القرآن ، وامتنّ بذلك على المؤمنين ، والحكمة

(١) أخرجه الشيخان - واللفظ للبخاري في إحدى رواياته - ،وأبو داود ( ٤ /١٥٣)، والترمذيّ ( ٤ /٣٩) وقال : حديث حسن صحيح ، والنّسائي (٨ / ٢٤٠-٢٤١ )، وابن ماجه ( ٢ /٨٥٢ )، ومالك ( ٢ /٨٢٢ ) ، والشافعيّ في « الرسالة » ( ص ٢٤٨-٢٥٠ )، و« الأم » ( ٦ /١٣٣ )، وابن الجارود في « المنتقى » ( ٨١١ )، والدارمي ( ٢ /١٧٧ )، والطيالسيّ ،( ١ /٢٩٨-٢٩٩- منحة المعبود ) ، وعبد الرزاق في « المصنف » ( ١٣٣٠٩و ١٣٣١٠ )، وأحمد( ٤ /١١٥-١١٦ )، والبيهقي(٨ /٢١٢و٢١٣و٢١٩و٢٢٢ ) ، والحميدي ( ٨١١ ) وغيرهم.

(٢ ) أخرجه الدارميّ ( ١ / ١٤٥ )، والخطيب في « الكفاية » (ص١٢)، و « الفقيه والمتفقّه » ( ١ / ٩١ ) بسند صحيح، واللالكائيّ في « شرح أُصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة » ( ١ / ٨٥ )، وأبوداود في « المراسيل » ( ص٥٥)، وابن نصر في « السنّة » ( ص١١٦ ) وغيرهم، وقال الحافظ في « الفتح » (١٣ / ٢٩١ ) : « أخرجه البيهقيّ بسند صحيح ».

هي السنّة ، كما قالَ غيرُ واحد من السَّلف ، وهو كما قالوا ؛ فإنَ الله تعالى قال : ﴿ واذْكُرنَ ما يُتلى في بيوتكنّ من آياتِ الله والحكمة ﴾ ، فنوَّع المتلوَّ إلى نوعين: آيات الله ، وهي القرآن الكريم ، والحكمة وهي السنّة ، والمرد بالسنة ما أُخذ عن رسول اللّه صلّى الله عليه وسلم سوى القرآن ، كما قال صلّى اللّه عليه وسلم:« ألا إنّي أُوتيت الكتابَ ومثلَه معه »، وقال الأوزاعيّ عن حسّان ابن عطيّة: كان جبريل ينزل بالقرآن والسنّة ، ويعلمه إيّاها كما يعلّمه القرآن، فهذه الأخبار التي زعمَ هؤلاءِ أنّه لا يستفاد منها علم ، نزل بها جبرائيلُ من عند الله عزَّ وجلَّ كما نزل بالقرآن ، وقال إسماعيل بن عبد الله : ينبغي حقًّا أن تحفظوا عن رسول الله صلّى اللّه عليه وسلم فإنّها بمنزلة القرآن » .

وقال ( ٢ / ٣٦٩ – ٣٧٠ ) : « قال الذين يقولون: أخبار رسول الله صلّى اللّه عليه وسلم تفيد العلم : قال الله تعالى : ﴿ وما يَنطِقُ عن الهوى . إنْ هو إلا وحيٌ يوحى ﴾، وقال تعالى آمراً نبيّه أن يقول : ﴿ إنْ أتبع إلاّ ما يوحى إليّ ﴾ وقال تعالى : ﴿ إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون ﴾ وقال تعالى : ﴿ وأنْزَلنا إليك الذّكر لتبيّنَ للناسِ ما نزّل إليهم ﴾ قالوا : فعُلم أنَّ كلامَ رسولِ الله صلّى اللّه عليه وسلم في الدين كلّه وحيٌ من عند الله وكلٌّ وحي من عندالله فهو ذكر أنزله الله ، وقد قال تعالى : ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ﴾ ، فالكتابُ القرآن ، والحكمة السنّة ، وقد قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: « إني أوتيت الكتابَ ومثله معه » فأخبر أنه أُوتي السنّة كما أُوتي الكتاب ، والله قد ضَمِن حفظَ ما أوحاه إليه ، وأنزله عليه ليقيم به حجّته على العباد إلى آخر الدهر، وقالوا : لو جاز على هذه الأخبار أن تكون كذباً لم تكن من عند الله ، ولا كانت مما أنزله الله على رسوله وآتاه إيّاه تفسيراً لكتابه ، وتبياناً له ، وكيف تقوم حجته على خلقِه بما يجوز أن يكون كذباً في نفس الأمر ؟! ، فإن السنّة تجري مجرى الكتابِ ، وبيان المراد ، فهي التي تعرّفنا مراد الله من كتابه ، فلو جاز أن تكون كذباً وغلطاً لبطلت حجة الله على العباد » .

٤– قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في « الإيمان »( ص ٧٣ ) : « وأما الرسول فينزل عليه وحي القرآن ،

ووحي آخر هو الحكمة ، كما قال صلى الله عليه وسلم :« ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه » .(١)

وقال حسّان بن عطية :« كان جبريل ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالسنة فيعلمه إياها كما يعلمه القرآن » .(٢)

٥- قال ابن كثير - رحمه الله - في « تفسيره » ( ١ / ٣ ) :

« والسنة أيضاً تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن ، إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن » .

٦- قال أبو البقاء في « كُلِّيَّاته » ( ص٢٨٨ ) :

« والحاصل أنَّ القرآن والحديث يتَّحدان في كونهما وحياً منزلاً من عندالله بدليل ﴿ إن هو إلاّ وحي يوحى ﴾ إلاّ أنّهما يتفارقان من حيثُ إنَّ القرآن هذا المنزل للإعجاز والتحدي به بخلاف الحديث » .

والسنة بعضها بوحي جليٍّ مثل الأحاديث الدالة على أن جبريل عليه السلام كان ينزل على رسول الله صلّى اللّه عليه وسلم بالسنّة ، منها :

أ- عن صفوان بن يعلى بن أُميّة ، أَنَّ يعلى كانَ يقول : ليتني أرى رسول الله صلّى اللّه عليه وسلم حين ينزّل عليه الوحي ، فلمّا كان النبيُّ صلّى اللّه عليه وسلم بالجِعرانة (٣) وعليه ثوبٌ قد أظلَّ عليه ومعه النّاس من أصحابه ، إذ جاءه رجلٌ متَضَمّخ (٤) بطيب، فقال : يا رسول الله ! كيف ترى في رجل أحرم في جبة بعد ما تَضمّخَ بطيب؟ فنظر النبيّ صلّى اللّه عليه وسلم ساعة فجاءه الوحي ، فأشار عمر إلى يعلى - أي : تعال - فجاء يعلى فأدخل رأسه ، فإذا هو محمرّ الوجه يغطُّ كذلك ساعة ، ثم سُرِّيَ عنه ، فقال :« أين الذي سَأَلني عن العمرة آنفًا؟ » فالتمس الرجل فجيء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أما الطيب الذي بك فاغسله

---

( ١ ) مضى تخريجه .

( ٢ ) مضى تخريجه

( ٣ ) بكسر أوله إجماعاً ،وبكسر عينه ، وتشديد رائه . أو تسكين العين ، وتخفيف الراء ، وهي ماء بين الطائف ومكة ، وهي إلى مكة أقرب ، انظر « معجم البلدان » ( ٤ / ١٤٢ ) .

( ٤ ) التضمخ : التلطخ بالطيب وغيره ، والإكثار منه . « نهاية » .

ثلاث مرات ، وأما الجبة فانزعها ، ثم اصنع في عمرتك كما تصنع في حجك » .(١)

ب- عن أنس رضي الله عنه قال : بلغ عبدَ اللهِ بنَ سلامٍ مقدَمُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم المدينةَ ، فأتاه فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبيّ ، قال : ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه ؟ ومن أي شيء ينزع إلى أخواله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خبّرني بهنَّ آنفاً جبريلُ » قال : فقال عبدالله : ذاكَ عَدوُّ اليهودِ من الملائكة ، فقال صلّى اللّه عليه وسلم :« أمّا أوّلُ أشراط الساعة فنارٌ تحشرُ النّاسَ من المشرقِ إلى المغرب ، وأمّا أول طعام يأكلُه أهل الجنّة فزيادةُ كبد الحوتِ ، وأمّا الشّبهُ في الولَدِ فإنّ الرَّجلَ إذا غشيَ المرأة فسبقها ماؤه ، كان الشَّبهُ له ، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها » ، قال : أشهدُ أنّكَ رسولُ الله ، ثم قال : يا رسول الله ! إنَّ اليَهودَ قومٌ بُهتٌ، وإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك، فجاءت اليهودَ، ودخل عبدالله البيت ، فقال رسول اللّه صلّى الله عليه وسلم :« أي رجل فيكم عبدالله بن سلام؟ » قالوا: أعلمنا وابن أعلمنا، وأخيرنا وابن أخيرنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« أفرأيتم إن أسلم عبدالله ؟ » قالوا: أعاذه الله من ذلك ، فخرج عبدالله إليهم ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنَّ محمداً رسول الله، فقالوا : شرُّنا وابن شرِّنا ، ووقعوا فيه » .(٢)

وبعضها بوحي غير جليٍّ ، وهو النفث في الروع ، فعن أبي أمامة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« إن روح القدس نفث في روعي : أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها ، وتستوعب رزقها ، فاتقوا الله ، وأجملوا في الطلب ، ولا يحملنَّ أحدَكم استبطاءُ الرِّزقِ أن يطلبه

(١) أخرجه الشيخان، وأبو داود، (٢/١٦٤-١٦٥) ،والنسائي (٥/١٣٠ و ١٤١)، وأحمد (٤/٢٢٢ ، ٢٢٤)، والدار قطني (٢/٢٣١)، والحميدي (٧٩٠-٧٩١)، وابن الجارود (٤٤٧) ،وابن خزيمة (٢٦٧١) وغيرهم.

(٢) أخرجه الشيخان وأحمد.

بمعصية الله ، فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته»[١].

والرُّؤيا الصادقة ، فعن عائشة أُمِّ المؤمنين – رضي الله عنها – أنّها قالت : كان أوَّل ما بُدئ به رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم من الوحي الرُّؤيا الصّالحةُ في النّوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»[٢].

**السّنة من الذِّكر المحفُوظ :**

اعلم – أيها الموفَّق إلى الحقِّ بإذن الله – أنّ السنة المطهرة محفوظة بحفظ الله لها ، وهاك برهان قولنا:

**أولاً :** قال جلَّ ثناؤه :﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾.

إنَّ هذه الآية الكريمة دلت على حفظ السنة اقتضاءً ولزوماً:

أمَّا اقتضاء ، فالسنة وحي من الله كما سبق بسط هذا المعنى ، والوحي ذكر منزل ، لأن الذكر اسم واقع على كل ما أنزله الله على نبيه صلى الله عليه وسلم.

وأمَّا لزوماً ، فقد تعهد الله بجمع القرآن وحفظه ، قال تعالى ذكره: ﴿ إن علينا جمعَه وقرآنَه ﴾.

قال ابن جرير رحمه الله في «تفسيره» (٢٩/١١٨):

«يقول تعالى ذكره: إن علينا جمع القرآن في صدرك يا محمد حتى نثبِّته فيه».

ثم تعهد الله ببيان القرآن وشرح مجمله ، قال سبحانه وتعالى :﴿ ثم إن علينا بيانَه ﴾.

قال ابن جرير في «تفسيره» (٢٩/١١٩):« أي : بيان ما فيه من حلاله ، وحرامه ، وأحكامه لك مفصلة».

والسنة شارحة ومبينة لكتاب الله، لأن الرسول مأمور ببيان القرآن للناس كما هو مقرر في آية النحل ، ومن تكفل بحفظ المبيَّن والمشروح فقد تكفل بحفظ الشارح والمبيِّن ، فلو كان بيانه عليه السلام لذلك المجمل غير محفوظ ولا مضمونةً سلامتُهُ فقد بطل الانتفاع بنص القرآن ، فبطلت الشرائع المفترضة علينا فيه.

**ثانياً:** وربانيُّو الأمة على هذا التصور ، منهم:

١– ابن حزم رحمه الله.

(١) «صحيح الجامع الصغير» (٢٠٨١).

(٢) جزء من حديث صحيح ، أخرجه البخاري ، ومسلم ، وغيرهما.

قال في « الإحكام في أُصول الأحكام » ( ١ / ١٢١-١٢٢ ):

« قال الله عز وجل عن نبيه صلى الله عليه وسلم :﴿ وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى ﴾ ، وقال تعالى آمراً نبيه عليه الصلاة والسلام أن يقول :﴿ إن أتَّبع إلا ما يوحى إلي ﴾ وقال تعالى :﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ ، وقال تعالى :﴿ لتبين للنّاس ما نزل إليهم ﴾، فصح أن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كله في الدين وحي من عند الله عز وجل لا شك في ذلك.

ولا خلاف بين أحد من أهل اللغة والشريعة في أن كل وحي نزل من عند الله تعالى فهو ذكر منزل ، فالوحي كله محفوظ بحفظ الله تعالى له بيقين، و كل ما تكفل الله بحفظه فمضمون أن لا يضيع منه وأن لا يحرف منه شيء أبداً تحريفاً لا يأتي البيان ببطلانه ، إذ لو جاز غير ذلك لكان كلام الله تعالى كذباً وضمانه ضائعاً ، وهذا لا يخطر ببال ذي مُسْكَة عقل ، فوجب أن الدين الذي أتانا به محمد صلى الله عليه وسلم محفوظ بتولي الله تعالى حفظه ، مبلغ كما هو إلى كل من طلبه ممن يأتي أبداً إلى انقضاء الدنيا ، قال تعالى : ﴿ لأنذركم به ومن بلغ ﴾.

فإذ ذلك كذلك ، فبالضرورة ندري أنه لا سبيل ألبتة إلى أن يختلط به باطل موضوع، لا يتميز عن أحد من الناس بيقين ، إذ لو جاز ذلك لكان الذكر غير محفوظ ، ولكان قول الله تعالى :﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ كذباً ووعداً مخلفاً ، وهذا لا يقوله مسلم » .ا. هـ

٢- ابن القيم رحمه الله.

نقل كلام ابن حزم الآنف ، وأقره ، واستحسنه في « مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة » ( ٢ / ٣٨٩ ) ، فقال :« وهذا الذي قاله أبو محمد حق في الخبر الذي تلقته الأمة بالقبول عملاً واعتقاداً، دون الغريب الذي لم يعرف تلقي الأمة له بالقبول » .ا.هـ

٣- ابن الوزير اليماني رحمه الله.

قال في « الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم » ( ١ / ٣٢-٣٣ ):

« قال تعالى في وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم :﴿ وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى ﴾ ، وقال

عز وجل فيما أوحاه إلى رسوله: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾، وهذا يقتضي أن شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال محفوظة، وسنته لا تبرح محروسة، فكيف ينكر هذا المعترض على أهل السنة ويشوش قلوب الراغبين في حفظها، ويوعر الطريق على السالكين إلى معرفة معناها ولفظها؟! » ا.هـ

٤- وقد سئل عبدالله بن المبارك رحمه الله: أما تخشى على هذا الحديث أن يفسدوه؟ قال: «كلا! فأين جهابذته؟! ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾»(١).

قلت: مقالة ابن المبارك مأخوذة من قوله صلى الله عليه وسلم: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدُولُهُ ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»(٢).

□□□□□

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (١/٦٠)، والخطيب البغدادي في «الكفاية» (ص٣٦-٣٧) بإسنادين مختلفين وهو ثابت، وذكره السيوطي في «تدريب الرواي» (١/٢٨٢).

(٢) حسن لشواهده: أخرجه البيهقي في «السُّنن الكبرى» (١٠/٢٠٩)، وفي «دلائل النبوة» (١/٤٣-٤٤)، وابن عدي في «الكامل» (١/١٥٣و٢/٧١١)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤/٣٥٦)، وابن عبد البر في «التمهيد» (١/٥٨-٥٩، ٥٩)، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/١٧)، والخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص ٢٩)، وابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (ص١)، وأبو بكر الآجرّي في «ذكر الأمر بلزوم الجماعة» (١/١)، والحازمي في «الفيصل» (٢/١)، وابن بطة في «الإبانة» (١/١٢٩/١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢/٢٣٢/٢ و ٦/٣٢٦/٢)، وعبد الغني المقدسي في «العلم» (٢/٤٤/٢)، و«الكمال» (١/١٢/٢) وغيرهم من طرق عن معان بن رفاعة عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري مرسلاً.

قلت: وقد روي موصولاً عن جماعة من الصحابة، وإن كانت أحاديثهم لا تخلو من مقال فإن بعضها يصلح شاهداً يتقوى به المرسل. وقد جمعتها وتكلمت عليها حسب قواعد علم الحديث في «جزء مفرد» سيصدر قريباً إن شاء الله.

والحديث صححه الإمام أحمد وحسنه الحافظ العلائي، وابن الوزير اليماني، والقسطلاني، وابن القيم، وغيرهم.

# المطلب الثاني

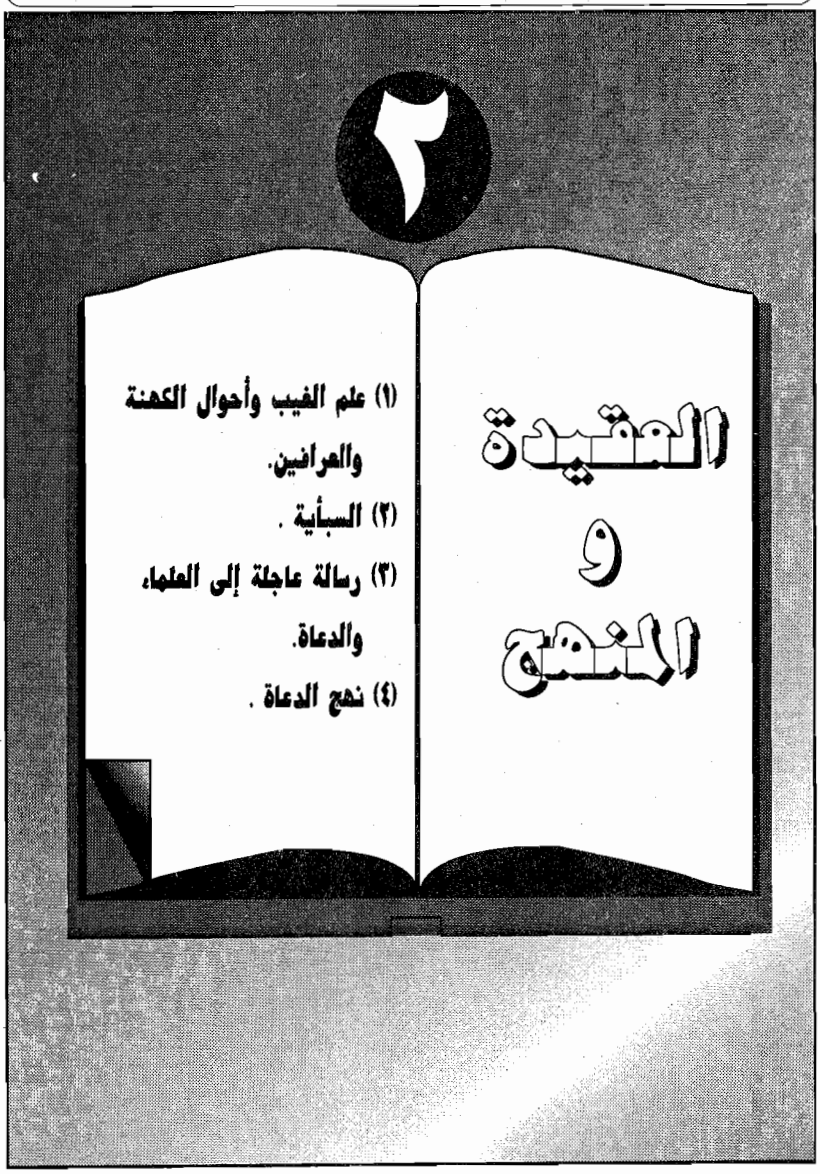

# علم الغيب وأحوال الكهنة والعرافين

محمد عبدالرحمن الخميّس

**الحمد للهّ ، والصلاة والسلام على رسول اللّه ، وبعد :**

فإنَّ علم الغيب مما استأثر به الحق سبحانه وتعالى ، وهو من أخص صفاته عز وجل ، التي لم يشرك فيها أحداً من خلقه ، كما قال تعالى : ﴿وعنده مفاتِحُ الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتابٍ مبينٍ﴾ ، وقال عز وجل: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً . إلا من ارتضى من رسول﴾ .

فمن اعتقد جواز علم الغيب لنفسه أو لغيره فقد كفر ، فإنَّ هذا مما لم يُطلعِ اللّه عليه أحداً من خلقه : لا ملَكاً مُقرَّباً ، ولا نبيّاً مرسلاً .

ولشديد الأسف فإنَّ كثيراً من جهال العوامِّ ، في بعض البلدان الإسلامية ما زالوا يؤمنون ببعض خرافات أهل الجاهلية وشركياتهم ، من اعتقاد أن بعض الناس عندهم اطلاع على علم الغيب ، كالكهنة والعرافين ، ومن نحا نحوهم ، وهذا موجود في كثير من البلدان الإسلامية ، كما هو معلوم ، وهو خلل خطير في العقيدة ، لأنه إشراك لغير اللّه تعالى مع اللّه تعالى، فيما اختص به اللّه عز وجل، ألا وهو : علم الغيب ، وفي الحديث :« من أتى عرافاً أو كاهناً فصدّقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد » ، ثم إنه يفسد على كثير من الناس أمور حياتهم ، فإنهم قد ينفقون الكثير من المال ،

لأجل تحصيل علم الغيب عند هذا المزعوم ، وقد يخبره بأشياء بعضها صِدقٌ ، وبعضها كذب، بل معظمها كذب، فتنقلب حياته رأساً على عقب ، حيث إنه يتصرف في حياته على ضوء ما يلقيه إليه ذلك الكاذبُ المدعي علم الغيب .

قال اللّهُ في كتابه مخاطباً نبيه صلى اللّه عليه وسلم : ﴿ قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرّاً إلا ما شاء اللّه ولو كنت أعلم الغيبَ لاسْتَكْثَرْتُ من الخير وما مسَّنيَ السوء إنْ أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون ﴾ فإذا كان النبي صلى اللّه عليه وسلم لا يعلم الغيب ، بل ينفي ذلك عن نفسه صراحة ، فغيره من باب أولى ، إذ كان هو الأحق منهم بذلك ، لأنه أفضل بني آدم على الإطلاق ، فإذ قد ورد نفي علم الغيب عن النبي صلى اللّه عليه وسلم ، فغيره من باب أولى .

والذي أوقع كثيراً من العامة في هذا المزلق الخطير ، هو ما رأوه من إخبار بعض أولئك الكذابين ببعض الأخبار الصادقة ، فيعظم فيهم اعتقادهم ، ويصدقونهم فيما يخبرون به بعد ذلك .

وهكذا ينفتح باب الكذب والدَّجل على مصراعيه ، ويصبح هؤلاء الكذابون من أولياء اللّه الصالحين – بزعمهم – وينسى هؤلاء الجهال أموراً ، منها :

١– أنَّ علم الغيب مما استأثر اللّه بعلمه ، وأنه حتى إخبار بعض الأنبياء بشيء من أمور الغيب إنما هو بما أعلمه اللّه لهم ، ولم يعلموه ابتغاءً من عند أنفسهم ، كما قال تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً .إلا من ارتضى من رسول ﴾ .

٢– أنَّ كثيراً ممن يدَّعون علم الغيب ، ليسوا من أهل الصلاح والتُّقى ، بل منهم الفاجر والزِّنديق، وهم يقعون في كثير من المحرمات ، كالخلوة بالأجنبيات، وأكل الحرام ، ونحو ذلك ، وهذا يدل على أن الإخبار ببعض المغيَّبات قد يقع من غير الصالحين ، بل من غير المسلمين

أصلاً ، فكيف يكون أولئك من الأولياء؟!

٣- أنّه لو كان عالم الغيب بما عرفه على الإيمان الصّادق لكان أحقَّ الناس به رسولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، وقد سبق نفيُ علم الغيب عنه صلى اللّه عليه وسلم بدليله.

٤- أنّه لو كان هؤلاء صادقين حقّاً في دعواهم علم الغيب ، لدفعوا عن أنفسهم ما قد ينزل بهم من الآفات والشَّرِّ.

وأما الطريق التي يتوصل بها هؤلاء الكذابون إلى الإخبار عن بعض المغيبات فهي كما يلي:

١- أنَّ بعضهم يكون له اتصال بالشياطين من الجن ، فيلقون إليه بعضاً من الأمور التي يخطفها الجنِّيُّ من الحق ، فيكذب معها ذلك الكذاب مئةَ كذبة ، كما في الحديث : أنَّ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم سئل عن الكهّان ، فقال: «ليسوا بشيء». فقالوا : يا رسول اللّه! إنهم يحدثوننا بشيء فيكون حقّاً ؟! فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : «تلك الكلمةُ من الحقِّ يخطفها الجنِّيُّ ، فيقرّها في أُذنِ وليِّه، فيخلطون معها مئةَ كذبةٍ» متفق عليه.

٢- أنَّ بعض الناس قد يكون عنده شيء من (الفِراسة) والقدرة على استقراء ما يجول بخاطر مَنْ أمامه ، فيخبرهم ببعض الأشياء فيعجبون به ، ويظنون به الولاية ، مع أنَّ هذه القدرةَ موجودةٌ عند كثيرٍ من الكفّار في بلاد الكفر ، وموجودةٌ عند بعض الأطباء النفسانيِّين وغيرهم.

٣- أنَّ بعض هؤلاء يستعين ببعض الأعوان له ، يندسُّونَ وسط (الزبائن) فيعرفون من الشخص اسمه ، وشيئاً من حياته ، وعن أي شيءٍ يستفسر ، فإذا عرفوا ذلك ألقوه وأوصلوه إلى ذلك الدَّجال بطَريقةٍ أو بأخرى ، فيواجه به (الزبون) ويظن أن (الشيخ) يعلم كل شيء عن الماضي ، ومن ثَمَّ فإنَّه يتقبل كل ما يقوله عن المستقبل وغيبيَّاته.

وفي الختام ، فإنني أُحَذِّرُ كل

مسلم صادقٍ أن يفسد دينه وعقيدته ، ودنياه وآخرته بالتردد إلى الكهنة والعرافين ، واستخبارهم، وتصديقهم ، فإنَّه كفرٌ كما سبق ، وعليهم بالتوبة إلى اللّه تعالى من ذلك ، إن كانوا قد وقعوا فيه ، وعليهم بتصحيح عقيدتهم ، والتعرف إلى ما يصلحها وما يفسدها ، فإنّه أوكد الواجبات ، واللّه من وراء القصد ، وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين. ❑

❑❑❑❑❑

ألمْ يأْنِ تركي لا عليَّ ولا ليَا ... وعزمي على ما فيه إصلاحُ حاليا
وقدْ نالَ منِّي الشَّيبُ وابْيضَّ مفرَقي ... وغالتْ سوادي شُهبةٌ في قذَاليا
أُصوِّتُ بالدُّنيا وليستْ تُجيبُني ... أُحاولُ أن أبقى وكيفَ بقائيا
وأبقى صَريعاً بين أهلي جنازةً ... ويَحوي ذوو الميراث خالصَ ماليَا
أقولُ لنفسي حينَ مالتْ بصفْوِها ... إلى خَطَرات قدْ نَتَجْنَ أمَانيَا
هَبيني منَ الدُّنيا ظَفِرتُ بكلِّ ما ... تمنَّيتُ أوْ أُعطيتُ فوقَ أمانيَا
أَلَيْسَ الليَّالي غاصبَاتي بمُهجَتي ... كما غَصَبتْ قَبْلي القُرونَ الخَوَاليَا
ومُسْكنَتي لَحْداً لدَى حُفرةٍ بها ... يطولُ إلى أُخرى اللَّياليْ ثَوائيَا
أَخافُ إلهي ثمَّ أرجُوا نَوالَهُ ... ولكنَّ خَوْفي قاهرٌ لرَجائيَا
على إثْرِ ما قدْ كانَ منِّي صَبَابةً ... لَياليَ فيها كنتُ للَّه عاصيَا
فإني جَديرٌ أنْ أَخافَ وأَتَّقيْ ... وإنْ كنتُ لمْ أُشركْ بذي العرشِ ثانيَا
وأدَّخرُ التَّقوى بمجهودِ طاقَتي ... وأركبُ في رُشْدي خلافَ هوائيَا (١)

(١) الديوان ( شرح التبريزي ) ص ٥٩٤-٥٩٦.

# السبأية

يوسف خليفة

بعد أنْ فَشلَت المواجهةُ العسكريةُ المباشرة والعلنية بين أتباع الحقِّ من المسلمين وأتباعِ الباطل من اليهود ، فهُزم اليهودُ شرَّ هزيمةٍ ، وأُخرجوا من المدينة المنورة ، لمكرهم ، وكيدهم ، وتآمرهم على النبي صلى اللّه عليه وسلم ووقوفهم في صف المشركين في غزوة الأحزاب ، بعد هذا بدأ الكيدُ اليهوديُّ ، فصدرت الأوامرُ السِّرِّيَّةُ لمقارعة الإسلام والتظاهر بالخشوع ، والتَّقوى ، والصَّلاح ، ومن بين هؤلاء الخبثاء عبداللّه بن سبأ ، فمن هو هذا المجرم ؟؟ وما هي أعماله الإجراميَّة التي قام بها ؟؟ وما هي أهمُّ الأفكار الخبيثة التي دعا لها بين النّاس؟؟

**عبداللّه بن سبأ :**

هو من يهود اليمن ، أمُّه حبشيَّة، ويلقب بابن السَّوداء ، اعتنق الإسلام ظاهِراً ، وأبطن يهوديته ، قدم إلى المدينة النبوية واستوطن بها ، تظاهر بالصَّلاح والتقوى ، وفي سنة ٣٢ هجرية بدأ يؤلِّب النّاس على سيدنا عثمان بن عفان رضي اللّه عنه ، فكان ابن سبأ يتنقل في البلاد الإسلامية ، يثير النّاس ضد عثمان ابن عفان رضي اللّه عنه ، فرحل إلى البصرة ، فطرده النّاس منها ، ورحل إلى الكوفة فَطُرِدَ منها ، فسافر إلى الشّام ، فلم يجد من يتجاوب معه ، فخرج إلى مصر ، وهناك وجد من يؤيِّدُه ، فبدأ بنشر أفكاره الباطلة ، كالرَّجعة والوصاية، وبدأ هذا المجرم باتهام الخلفاء أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، رضي اللّه عنهم ، بالتعدِّي على حق علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه بالخلافة ، فكان يُحَرِّضُ النّاس على الخلفاء ، ويدعو النّاس إلى أن ينهضوا لإعادة الحق لأهله.

يقول المؤرخ أبو الفتح

الشهرستاني في كتابه «الملل والنحل»( ص١٧٤ ) : «السبأية : أصحاب عبدالله بن سبأ الذي قال لعلي رضي الله عنه : أنت، أنت ، يعني أنت الإله ، فنفاه إلى المدائن . وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون وصي موسى عليهما السلام مثل ما قال في علي رضي الله عنه وهو أول من أظهر القول بالنص بإمامة علي رضي الله عنه ، ومنه انشعبت أصناف الغُلاة.

زعم أن عليّاً حيٌّ لم يمت ، ففيه الجزءُ الإلهي ، ولا يجوز أن يَستولي عليه ، وهو الذي يجيء في السحاب، والرعد صوته ، والبرق تبسّمه ، وأنّه سينزل إلى الأرض بعد ذلك ، فيملأ الأرضَ عدلاً كما مُلِئَتْ جوراً.

وإنما أظهر ابن سبأ هذه المقالة بعد انتقال علي رضي الله عنه ، واجتمعت عليه جماعة، وهم أول فرقة قالت بالتّوقّف ، والغيبة ، والرجعة وقالت بتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة بعد علي رضي الله عنه..».

**دور ابن سبأ في الفتنة الكبرى :**

كان في الكوفة الأَشتر النخعي ، وهو من أتباع ابن سبأ ، وفي البصرة حكيم بن جبلة وهو أيضاً من أتباع ابن سبأ ، وفي مصر كان عبد الرحمن بن عديس البلوي ، فحاول هؤلاء السبأيون وأتباعُهم الوثوبَ على الولاة عام ٣٤ هجري لكنهم فشلوا ، فخططوا لفتنةٍ أكبر وأوسع، فاتَّفقوا على التجمع في موسم الحج عام ٣٥ هجري لإثارة الفتنة ، وفعلاً توافدوا في اثنتي عشرة فرقة : أربع فرق من مصر ، وأربع فرق من البصرة وأربع فرق من الكوفة ، ووصلت الوفود مكة المكرمة ، وكان عددهم يصل إلى ثلاثة آلاف شخص ، وبعد انتهاء موسم الحج وعودة سيدنا عثمان بن عفان إلى المدينة المنورة ، لحق به المتآمرون ، واجتمعوا به في المسجد النبوي ، وطلبوا منه التنازل عن الخلافة ، فرفض عثمان رضي الله عنه طلبهم ، فهاجوا وحملوا عليه ، يريدون قتله، وحاصروه ، ومنعوا عنه الماء والزاد ، وبعد أيام تمكَّنوا من دخول الدَّارِ عليه ، فعاجله أحدُهم بحربةٍ ، فطعنه ، فاستشهد عثمان

رضي اللّه عنه على إثرها ، وهو صائم يقرأ القرآن ، وكان هذا في ١٨ / من ذي الحجة / سنة ٣٥ هجرية .

بعد وفاة عثمان رضي اللّه عنه تولى الخلافة علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه ، فاستمر ابنُ سبأ في دعوته الخبيثة ، ونشر أفكاره الضّالّة ، حتى وصل به فكرُه الخبيثُ إلى درجة تأليه علي ، فكان ابنُ سبأ أوّل من كَفَرَ من الرّافضة ، وقال : علي رب العالمين !! فأحرق عليٌّ أتباعه بالنار ، كما ذكر ابن قتيبة في كتابه« المعارف » ( ص ٣٤٠ ) ، وهذا العمل لم يزدهم إلا ضلالاً ، فقالوا : إنه لا يحرق بالنار ، إلا اللّه ، فهو لا شك إله!!

ويذكر خير الدين الزِّرِكْلِيُّ في كتابه « الأعلام » أن ابن عساكر نقل عن الصادق ( أنّه لما بويع علي ، قام إليه ابن سبأ ، فقال له : أنتَ خَلقتَ الأرض ، وبسطتَ الرزقَ ، فنفاه إلى ساباط المدائن ، حيث القرامطة وغلاة الشيعة ) (١) .

**فضح عقيدة السبأية :**

السبأية هم أتباع عبداللّه بن سبأ، وكان مِنْ أَشدِّ الدُّعاة ضد عثمان بن عفان وولاته، تدرّج في نشر أفكاره، ومفاسده بين النّاس ، وموضوعها علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه، فأخذ ينشر بين النّاس أنه وجد في التوراة أَنَّ لِكُلِّ نبيٍّ وصيّاً، وأَنَّ عليّاً وصيُّ محمدٍ وأنّه خيرُ الأوصياءِ، ويقول : عجبت لمن يقول برجعة المسيح ، ولا يقول برجعة محمد صلى اللّه عليه وسلم ! ثم تدرَّج بهذا ، حتى قال بألوهيّة علي رضي اللّه عنه ، ولقد هَمَّ علي بقتله إذ بلغه عنه ذلك ، ولكن نهاه عبداللّه بن عباس ، وقال له : إنْ قَتَلْتَه اختلف عليك أصحابُك ، وأنت عازم على العودة لقتال أهل الشام ، فنفاه إلى المدائن .

وإنَّ من هؤلاء السبئيين من كان يقول : إنَّ الإلهَ حلَّ فيه ، وفي الأئمة من بعده ! وهو قولٌ يوافق بعض الدِّيانات القديمة ، التي تقول بحلول

(١) « الأعلام » خير الدين الزِّركليّ ( ٤ / ٨٨ )

الآلهة في البشر ، وإن روح الآلهة تتناوب الأئمة إماماً بعد إمام ، كما كان يقول المصريون القدماء في الفراعنة [1].

**طه حسين ينكر شخصية ابن سبأ :**

يقول طه حسين في كتابه « الفتنة الكبرى » ( ٢ / ٩٠ ) :

« إنَّ المؤرخين أعرضوا عن ذكر عبدالله بن سبأ ، لأنَّهم تبيَّنوا أنَّ أمرهُ مُتكلّفٌ منحولٌ قد اختُرِع بأخَرَة » .

ويرى أنَّ خصوم الشّيعة من أهل السُّنَّة وغيرهم ، هم الذين وضعوا أمرَ ابنِ السَّوداء ليدخلوا في أصل الشيعة عناصر يهودية ، إمعاناً في الكيدِ لهم، والنيل منهم ! .

ويقول طه حسين أيضاً ( ١ / ١٩٠ )، عن الفتنة التي أدَّت إلى قتل عثمان بن عفان : « إنما كانت فتنةً عربيةً ، نشأت من تزاحم الأغنياء على الغنى والسُّلطانِ ، ومن حَسَد العامة لهؤلاء الأغنياء » .

ويقول طه حسين : « إنَّ الرُّواة أكبروا من شأنها وأسرفوا فيها ، وإنها لم ترد في المصادر المهمة ، وإنّ ابن سعد لم يذكرها ، وإن البلاذري لم يذكرها في « أنساب الأشراف »، وإنّ الذي ذكرها هو الطبري ، وأخذها عنه المؤرِّخون الذين جاؤوا من بعده » .وهكذا نرى أنَّ طه حسين يُقَلِّلُ من دور ابن سبأ في الفتنة الكبرى ، حتى ينكر وجود هذه الشخصية ، ويزعمُ أنَّها منحولة ومتكلفة !! ، مع أنَّ دورَ ابن سبأ واضحٌ في الفتنة الكبرى ، كما ذكر ذلك ابن الأثير في كتابه « الكامل في التاريخ » ، وكذلك الطبري في « تاريخ الأمم والملوك » ، وكذلك ذكره كثيرٌ من المؤرِّخين والكتّاب المتقدِّمين والمتأخِّرين ، أذكر منهم على سبيل المثال :

الشهرستاني في « الملل والنحل »، وعبد القادر البغدادي في« الفرق بين الفرق »، وابن قتيبة في « المعارف » ، وابن عبد ربه في « العقد الفريد » ، وكذلك من كُتَّاب الشيعة من ذكر ابن سبأ مثل: الكشي في كتابه « معرفة الناقلين عن الأئمة الصَّادقين »، والنّوبختي في كتابه

---

( ١ ) « تاريخ المذاهب الإسلامية » لأبي زهرة ( ص٣٣-٣٨ ) .

«فرق الشيعة»، وصاحب كتاب «روضة الصَّفا».

وكذلك ذكر ابنَ سبأ عددٌ آخر من المؤرِّخين الثقات، منهم: الإمام الذهبي، وابن خلدون، وابن حزم، والإمام ابن تيمية في «الفتاوى الكبرى»، وابن حجر وغيرهم.

**ومن الكتاب المعاصرين من ذكر ابن سبأ وكشف شخصيته، منهم:**

الشيخ محمد أبو زهرة، والشيخ محب الدين الخطيب، والأستاذ أنور الجندي، وخير الدين الزركلي، وسعيد الأفغاني، وعبد الرحمن بدوي، وعبد الله عودة، ود. يوسف العش في كتابه «تاريخ الدولة الأموية»، ومحمد الصباغ، ومحمد بسام ملص، والشيخ إحسان إلهي ظهير – رحمه الله –، وسليمان ناجي وغيرهم.

إنَّ ما ذكره طه حسين في ابن سبأ ما هو إلا ترديد لكلام المستشرقين الذين يدافعون عن اليهود، والذين يقولون: إنَّ الفتنةَ الكبرى بين علي رضي الله عنه ومعاوية رضي الله عنه هو خلاف عربي عربي، ليس لليهود وأحفادهم أي دور فيه، وهذا دأب أعداء الإسلام، يثيرون الفتن، ثم يختفون إلى حين.

إنَّ طه حسين قد اتّبع المستشرق (كيتاني) في رأيه في ابن سبأ، وردَّد ما قرأه في فصول متفرقة من «دائرة المعارف الإسلامية» التي كتبها المستشرقون، ومعظمهم من اليهود، حسب ما اعترف به طه حسين في خاتمة كتابه «الفتنة الكبرى».

إنَّ ادِّعاء طه حسين أنَّ المصادر المهمة لم تذكر دورَ ابن سبأ في الفتنة.

والسؤال الذي يَعرِضُ نفسه، إن لم يكن كتاب «تاريخ الأمم والملوك» للإمام الكبير الطبري من الكتب التاريخية المهمة والموثوقة فما هي الكتب المهمة التي هي حاضرة بين أيدينا، وهل كتاب «الكامل في التاريخ» لابن الأثير أيضاً من الكتب غير المهمة؟؟.

**عقائد السبأية:**

– **الرجعة**: يعتقد السبأيون أنَّ سيدنا علياً رضي الله عنه سيرجع، ويملأ الأرض عدلاً، كما مُلئت جوراً، وقال ابن سبأ لمن أخبره بوفاة

علي بن أبي طالب : لو أتيتنا بدماغه في صرة لن نصدِّق . ويعتقد أتباعُه برجوع كل إمام لهم بعد موته .

**- تأليه سيدنا علي :**

كان ابنُ سبأ يقول لعلي بن أبي طالب : أنت ، أنت، يعني : أنت الإله ، فنفاه علي إلى المدائن ، وحرَّق بعضَ أتباعه .

**- الحق الإلهيّ :**

كان ابنُ سبأ ينشرُ بين العامَّة أنَّ عليّاً رضي اللّه عنه هو صاحب الحقِّ الأول في الخلافة ، وأنَّ الخلفاء الذين سبقوه - رضي اللّه عنهم - اعتدوا على حقه في الخلافة ، ونزعوها منه ، وهذه النظرية هي من أصل فارسي ، عبرت مع الفرس إلى اليمن موطن ابن سبأ ، وكان يتَّهم الأمويّين ، ويقول فيهم أنهم مستبدون ، يعتقدون أنَّ العراقَ بستان قريش .

**- الولاية والوصاية :**

قال ابن سبأ : إنَّ لكلِّ نبي وصيّاً وعليٌّ وصيُّ محمد ، وإنَّ عثمان أخذها - يعني الخلافة - بغير حقِّها، وطلبَ من النّاس أنْ يَثوروا عليه ليأخذوها منه ، ويولُّوا عليهم عليّاً ، وكان ابنُ سبأ يقول : إنَّ هارون وصيُّ موسى ، وعليٌّ وصيُّ محمَّدٍ صلى اللّه عليه وسلّم .

ووضع أتباعه بعض الأحاديث، منها : (بني الإسلام على خمس : الصَّلاة والزَّكاة والصَّوم والحجّ والولاية ) ، ولم يناد بشيء ما نودي بالولاية يوم الغدير .

هذا ما استطعنا أن نُبيِّنه عن السبأية ومعتقداتهم .

وأخيراً ، نسأل اللّه السَّلامَة من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، واللّه الموفِّق لكلِّ خير، والصَّلاةُ والسَّلامُ على نبينا محمَّدٍ ، وآله وصحبه أجمعين ، والحمد للّه رب العالمين. ❑

يا قسوةَ القلبِ! مالي حيلةٌ فيكِ ... ملكتِ قلبي فأضحى شرَّ مملوكِ
حجبتِ عنّي إفاداتِ العلومِ، فلا ... يشْفيكِ ذكرٌ ولا وَعْظٌ يداويكِ
وما تَمَاديكِ مِنْ كَسْبِ الذنوبِ ولـ ... ـكنَّ الذُّنوبَ أراها من تماديكِ
لكنْ.. تماديكِ من كسبٍ نَشَأْتِ به ... وكلُّ داءٍ بقلبي مِنْ عَواديكِ
أنتِ الطّليعةُ للشَّيطانِ في جَسَدي ... فليسَ يدخلُ إلاّ مِنْ نواحيكِ
لمَّا فَسَحْتِ بتوفيرِ الحظوظِ له ... أضحى معَ الدّمِ يجري في مجاريكِ

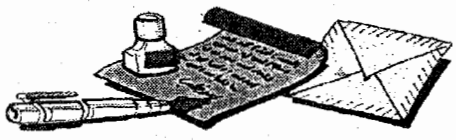

# رسالة عاجلة إلى العلماء والدعاة

سعود بن ملوح العنزي

إن من العلل التي بدأت تستشري بين بعض طلبة العلم – في هذه الآونة – قلّةَ الارتباط بالعلماء النّاصحين الحريصين على توجيه الشباب –خاصة – وتزويدهم بما آتاهم اللّه من علم ، وخبرة في مجال التّربية و الدعوة إلى اللّه عزّ وجلّ.

فإنّ المشاهَدَ من بعض طلبة العلم، هو الحرصُ على سرعة البُروز، ممّا يؤدي بالطالب إلى الوُلوج في مَسالكَ وعرةٍ يُخشى عليه من نتائجها.

وليت الأمر اقتصر على هذا فحسب ، بل إنّ البعض بدأ يلمزُ – ولو مِنْ طرفٍ خَفيٍّ – بعضَ عُلمائنا في هذا الزّمن ، بل قد ظهرت بعض الردود ( اللاعلميّة ) التي يردُّ بها هؤلاء الناشؤون – من غير تأدُّبٍ – على فطاحلة هذا الزمن ، ممن أمضوا أكثَر أعمارهم بين جدرانِ مكْتباتهم، وصفحاتِ كتبِهم ، ومَيَادين توجيههم ودعوتهم،حتّى وصلوا إلى ما وصلوا إليه، وذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء ، واللّهُ ذو الفضلِ العظيم.

ولقد بَدأتْ نتائج تسرُّع هؤلاء الشَّباب تظهرُ على الساحة ، وذلك من خلال الردود ، والفتاوي ( الجاهزة ) الخطيرة التي بدأت تجودُ بها قرائح هؤلاء النابهين !

فإنَّ الذي يعيشُ قريباً من هذه الفئة ، يعرف حالَهم التي انْتَهَوْا إليها من تخبُّطٍ في طلبِ العلم ، ومنهجِ الدّعوة إلى اللّه تعالى ، والسببُ في ذلك هو ارتباطُ هؤلاء الشباب بالكتب دون العلماء !! مما كان له أثرٌ سَيِّئٌ في تحصيلهم العلميّ ، ومنهجهم الدعويّ.

ويصعبُ التعرُّض في هذه العجالة إلى كثيرٍ من الفتاوي والمسائل – بل والمعارك – التي تدورُ رحاها بين

هؤلاء القوم ، ولكن سأكتفي بالتنبيه على مسألةٍ واحدةٍ كثرُ الخوضُ فيها في الفترة الأخيرة ، وتعالت فيها أصواتُ (المُفتين منهم) ، ألا وهي مسألة (التبديع) ، وبالتالي (الهجر) المترتّب على ذلك ! فقد حمي وطيس المعركة في هذه المسألة ، وفتن فيها ثلّة غيرُ قليلةٍ من طلبة العلم ، فَكَثُرَ القولُ بتبديع فلانٍ ووجوب هجرِ علاّن ، من غير ارتباطٍ بالضوابط التي عني بها علماؤنا ، وقعّدوا لها القواعد ، فليس من اليسير على أحداث أسْنانٍ سُفَهاء أحلامٍ -كما لا يستطيعُ كلُّ أحدٍ قرأ حروفاً ، أو سَمعَ كلماتٍ ، أو نظر شيئاً من الكتب- أنْ يُمَيِّزَ بين البدعِ وغيرها بسهولةٍ ويُسرٍ ، بل لا بدَّ لمن أرادَ التمييز بين البدعِ وغيرها ممّا استجدَّ أنْ يَكونَ عارفاً بشيئين اثنين:

الأول : سيرة الرسول صلى اللّه عليه وسلّم وسنَّته ، حتّى تكونَ عنده كالأصلِ والقاعدة التي منها ينطلقُ في التمييز بين السُّنن والبدع.

الثاني : معرفة علم أُصولِ البدعِ ، ليسهل عليه تطبيقُ القواعدِ وتخريجُ الفروعِ على الأُصولِ.

وليسَ من شكّ أنَّ معرفةَ هذين الأَصلين والتمكّن من فهمهما ، تعطي طالبَ العلمِ ركائزَ قويّة يخرجُ من خلالها بأحكامٍ ثابتةٍ رصينةٍ بعيدةٍ عن الشكِّ والخطأ والارتياب .

وليت شعري ، أنّى لطُوَيْلبِ علم تطفّل على بعضِ الكتبِ أن يحصلَ على التأصيلِ العلميِّ لهذه المسائل وغيرها ؟!

وإنَّ الحالةَ التي تعيشها هذه الفئةُ من (الناس) لتنذرُ بخطرٍ كبيرٍ، وشرٍّ مستطيرٍ ، فإنَّني أَلحظُ تزايدَ أَعداد هذه النوعيّة ، كما أنَّني أحسُّ بنسائم الحزبيَّة المُنتنة قد بدأت تهبُّ على قلوبِ هؤلاء المتعالمين ، وبدأ الهوى يأخذ له مكاناً في القلوب.

ولا شكَّ أنَّ هذا يوجبُ على علمائنا ودعاتنا - وفّقهم اللّه - تدارك هؤلاءِ القوم ، والحدّ من هذه الموجة الخطيرة قبل مزيدٍ من الانحرافِ ، ومزيدٍ من التطاحنِ .

كما أنّني أدعو مجلّتنا الغرّاء «الأصالة» أنْ تعرضَ البحث والمناقشة لإيجادِ العلاج الناجع لهذه المسألة وأخيّاتها.

واللّهَ تعالى نسألُ أنْ يأخذَ بأَيْدينا جَميعاً لما يحبّه ويرضاه ، وهو تعالى من وراءِ القصدَ . ❑

# نهج الدعاة

الحلقة الأولى

عبد العظيم بدوي

﴿ ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إنَّ ربَّكَ هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ (١).

هذه الآية قد تضمنت على وجازتها دستور الدعوة إلى الله عز وجل ، ولذلك قال الفخر الرازي بعد أن ذكر مباحثها : « واعلم أن هذه المباحث تدل على أنه تعالى أدرج في هذه الآية الكريمة هذه الأسرار العالية الشريفة ، مع أَنَّ أكثَر الخَلق كانوا غافلينَ عنها ، فظهر أن هذا الكتاب الكريم لا يهتدي إلى ما فيه من الأسرار ، إلا مَنْ كان من خواصٍّ أولي الأبصار » (٢).

والمباحث التي في هذه الآية هي :

ماهي الدعوة ؟؟ وما فضلها ؟؟ وما حكمها ؟ إلامَ تكون ؟ وسائلها ؟

أما الدعوة فهي لغة : مأخوذة من الدعاء ، وهو النداء لجمع الناس على أمرٍ ما ، وحثّهم على العمل له ، قال تعالى :﴿ والله يدعو إلى دار السلام ﴾(٣) .

والدعوة في اصطلاح العلماء : جمع الناس على الخير ودلالتهم على الرشد بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، قال تعالى :﴿ ولتكن منكم أمةٌ يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾(٤) .

والدعوة إلى الله تعالى وظيفة المصطفين الأخيار من النبيين وأتباعهم المؤمنين، قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلّم : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى

(١)[النحل :١٢٥]
(٢)« التفسير الكبير» (٢٠/١٤١)
(٣)[يونس:٢٥]
(٤)[آل عمران:١٠٤]

اللّه على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾[1] .

وفضل الدعوة عظيم ، قال تعالى :﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى اللّه وعمل صالحاً وقال إنني من المسلّمين ﴾ [2] ففي هذة الآية التنبيه على شرف الدعاة والثناء عليهم ، وبيان أنهم أحسن الناس قولاً ، لأنهم يدعون الناس إلى اللّه ، ويرشدونهم إلى اتباع الحق واجتناب الباطل ، وفعل الخير وترك المنكر.

وقال النبي صلى اللّه عليه وسلّم :« من دل على خير فله مثل أجر فاعله »[3] وقال النبي صلى اللّه عليه وسلّم :« من دعا إلى هدى كان له مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً » [4] ، ويوم خيبر أعطى النبي صلى اللّه عليه وسلّم الراية لعليّ ، وقال له :« انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقّ اللّه تعالى ، فواللّه لأن يهدي اللّه بك رجلاً واحداً ، خيرٌ لك من حُمْرِ النَّعَم »[5] .

فتخيل أيها المسلم اعظمة الذي يأتيك من الأجر! فكيف لو هدى اللّه على يديك ملايين ؟ فهنيئاً لك أيها الداعية هذا الخير العظيم ، فكيف تنشغل أيها المسلم عن الدعوة إلى اللّه وتترك هذا الخير العظيم ؟! أما علمت أنك حين تنشغل بالدعوة إلى اللّه تنام ويأتيك أجر ، وتموت ويأتيك أجر ؟! أفلا يحملك هذا الفضل ألا تدخر وسعاً، ولا تألوَ جهداً إلا بذلته في الدعوة؟

ألا يحملك هذا الفضل العظيم أن تدعوَ الناس سرّاً وجهاراً ، وليلاً

---

(١)[ يوسف:١٠٨].

(٢)[ فصلت: ٣٣].

(٣) مسلم (١٨٩٣/١٥٠٦/٣) ، وأبو داود ٥١/٣٧-٣٨/٤) ،والترمذي (٢٨١٠/١٤٧-١٤٨/٤).

(٤) مسلم (٢٦٧٤/٢٠٦٠/٤) ، وابن ماجه (٢٠٦/٧٥/١) ، والترمذي (٢٨١٤/١٤١/٤)، وأبو داود (٤٥٨٥/٣٦٣/١٢).

(٥) البخاري (٣٧٠١/٧٠/٧) ، ومسلم (٢٤٠٦/١٨٧٢/٤).

ونهاراً ، طمعاً في هذا الأَجر العظيم الذي هو خير لك من الدنيا وما فيها؟! أنسيت قول اللّه تعالى :﴿ قل بفضل اللّه وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ (١) وأي فضل عليك أعظم من أن يصطفيك اللّه ، ويجتبيك للعمل في الدعوة إليه ؟! أما تعلم أن هذا العمل عمل المرسلين الذين اصطفاهم اللّه من خلقه ، وعمل المصطفَيْنَ من أتباعهم ؟! فكما اصطفى اللّه الأنبياء لهذا الواجب ، اصطفى من جملة الأتباع من يقوم بهذا الواجب أيضاً ، إنك واللّه لو عقلت لبكيت على عدم كونك من الدعاة ، لأنك لست من المصطفَيْنَ ، لذا كان النبي صلى اللّه عليه وسلّم يقول :« من يُرد اللّه به خيراً يفقهه في الدين » (٢) ففُهم منه أن من لم يتفقّه في الدين لم يرد اللّه به خيراً ، فكيف بمن تفقه في الدين وفقّه الناس فيه ؟ كيف بمن تعلّم وعلّم ؟ إنّه واللّه لمغبوط ، كما قال صلى اللّه عليه وسلّم « لا حسد إلا في اثْنَتَيْنِ : رجلٌ آتاه اللّه مالاً ، فسلّطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه اللّه الحكمة ، فهو يقضي بها ويعلّمها »(٣) .

ثم اعلم يا عبداللّه ! أنَّ الدّعوةَ إلى اللّه عزّوجلّ من فروض الدّين ، وواجباته الكفائية ، التي تجب على عموم الأمة ، فإنْ قام بها من يكفي سقط الإثم عن الباقين ، وإنِ اتَّفقوا على تركها ، أو قام بها من لم يَكْفِ قيامُه بها أثِموا جميعاً ، قالَ تعالى : ﴿ كنتم خير أُمة أُخرجت للنّاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون باللّه ﴾ (٤) .

وقال تعالى :﴿ ولتكن منكم أُمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف

---

(١) [ يونس : ٥٨ ] .

(٢) البخاري ( ٣١١٦/٢١٧/٦ ) ، ومسلم ( ١٠٣٧/٧١٨/٢ ) ، وابن ماجة ( ٢٢٠/٨٠/١ ) .

(٣) البخاري ( ٧٣/١٦٥/١ ) ، ومسلم ( ٨١٦/٥٥٩/١ ) ، وابن ماجة ( ٤٢٠٨/١٤٠٧/٢ ) .

(٤) [ آل عمران : ١١٠ ] .

وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾[1] .

وإنما لُعن بنو إسرائيل ، وطُرِدوا من رحمةِ اللّه ، وباءوا بغضبٍ من اللّه ، بتركهم القيام بواجب الدعوة إلى اللّه ، قال تعالى :﴿ لُعِنَ الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾[2] .

ولذا حذر النبي صلى اللّه عليه وسلّم من الاتفاق على ترك القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقال صلى اللّه عليه وسلّم: « مثل القائم في حدود اللّه والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة ، فصار بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء مرّوا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنّا خرقنا في نصيبنا خَرْقاً ، ولم نُؤْذِ مَن فَوْقَنا ، فإنْ تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً » .[3]

وقال أبو بكر رضي اللّه عنه : يا أيها الناس ! إنكم تقرؤن هذه الآية ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسَكم لا يضرّكم من ضلَّ إذا اهتديتم ﴾[4] وإني سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم يقول :« إنّ الناس إذا رأوا الظالم ، فلم يأخذوا على يديه ، أوشك أن يعمّهم اللّه بعقابٍ منه »[5].

فالدعوة إلى اللّه من فروض الكفاية إذا قام بها من يكفي حاجة الناس إليها، فإذا كان بالناس حاجة ، ولم يَكْفِ القائمون بالدعوة حاجتهم ، لم يسقط الواجب عن الأمة ، وتعيّن على كل مَنْ يقوى على النهوض بهذا الواجب أن ينهض به .

---

(١) [ آل عمران : ١٠٤ ] .

(٢) [ المائدة: ٧٨ ، ٧٩ ] .

(٣) البخاري ( ٢٤٩٣ / ١٣٢ / ٥ ) وهذا لفظه ، والترمذي ( ٢٢٦٤ / ٣١٨ / ٣ ) بنحوه.

(٤) [ المائدة: ١٠٥ ] .

(٥) الترمذي ( ٥٠٥٠ / ٣٢٢ / ٤ ) ، وأبو داود ( ٤٣١٦ / ٤٨٩ - ٤٩٠ / ١١ )، وابن ماجه ( ٤٠٠٥ / ١٣٢٧ / ٢ ) .

وقد تتعيّن الدَّعوة على شخص أو أشخاص في مكان لا يوجد غيرهم يدعو إلى اللّه على بصيرة ، فيتعيَّن عليهم أن يقوموا بهذا الواجب ، وإلا أثموا أجمعون.

هذه هي الدَّعوة ، وفضلها ، وحكمها.

أمّا إلامَ تكون ؟ فإن اللّه تعالى قال في هذه الآية: ﴿ ادعُ إلى سبيل ربك ﴾ ، وقال في آية أخرى :﴿ وادعُ إلى ربك ﴾ [١] ، ووصف النبيَّ صلى اللّه عليه وسلّم بكونه ﴿ داعيًا إلى اللّه ﴾[٢] وأمره أن يصدع بذلك ، فقال : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى اللّه ﴾[٣]، وقال له :﴿ وإنك لتدعوهم إلى صراطٍ مستقيم ﴾[٤].

فالدعوة لا تكون إلا إلى اللّه ، وإلى سبيل اللّه ، وإلى صراط اللّه ، ولا تجوز الدعوة إلى سبيل فلان أو طريق فلان ، ولا إلى مذهب فلان ، ولا إلى رأي فلان، ولا تجوز الدعوة إلى حزبٍ ، أو تنظيمٍ ، أو جماعةٍ ، بل يجب أن تكون الدعوة إلى اللّه مَحضَةً ، وإلى سبيل اللّه خالصةً.

قال ابن تيمية – رحمه اللّه – : « أمر اللّه سبحانه نبيه بالدعوة إلى اللّه تارة، وتارة بالدعوة إلى سبيله ، وذلك أنه قد عُلم أن الداعي الذي يدعو غيره إلى أمر لا بد فيما يدعو إليه من أمرين : الأول : المقصود المراد. والثاني : الوسيلة والطريق الموصلة إلى المقصود . فلهذا يذكر الدعوة تارة إلى اللّه ، وتارة إلى سبيله ، فإنه سبحانه هو المقصود المراد بالدعوة.

فالدعوة إلى اللّه تكون إلى دينه ، الذي هو درجات ثلاث : الإسلام والإيمان، والإحسان .

والإسلام هو أن تشهد أن لا إله إلا اللّه ، وأنَّ محمداً رسول اللّه ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت.

---

(١) [ القصص : ٨٧ ] .

(٢) [ الأحزاب : ٤٦ ] .

(٣) [ يوسف: ١٠٨ ] .

(٤) [ المؤمنون: ٧٣ ] .

والإيمان هو أن تومن باللّه ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر .

والإحسان أن تعبد اللّه كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

فهذا الدين الذي بعث اللّه به محمداً صلى اللّه عليه وسلّم . ولذا لما سأل جبريلُ النبيَّ صلى اللّه عليه وسلّم عن هذه الثلاثة وأجابه بما ذكر ، قال النبي صلى اللّه عليه وسلّم بعد انصرافه :« ذاك جبريل ، أتاكم يعلمكم أمر دينكم »(١) .

« وأما سبيل اللّه : فهو ما رسمه اللّه سبحانه ، وأنزله على رسوله ، فكان قرآناً ، وكان سنةً ، وسبيل اللّه ، بحسب القرآن الكريم والسنة الشريفة ، يتبلور ويتمركز في :

- **التوحيد في مجال العقيدة**
- **الرحمة في مجال الأخلاق .**
- **العدل في التشريع .**

وسبيل اللّه كما صوَّره جعفر بن أبي طالب : توحيدُ اللّه وعبادتُه وحده، وصدقُ الحديث ، وأداءُ الأمانة ، وصلةُ الرحم ، وحسنُ الجوار ، والكفُّ عن المحارمِ والدماءِ ، وإقامُ الصلاة ، وإيتاءُ الزكاة ، والصيامُ ، والبعدُ عن الفواحشِ ، وقولِ الزور، وأكلِ مال اليتيم ، وقذفِ المحصنة » .(٢)

وأما وسائل الدعوة : فإنها الحكمة ، والموعظة الحسنة ، والجدل الأحسن ، وإنما تنوعت الوسائل لتنوّع المدعوِّين ، فالمدعوون – وهم الناس كافة – على ثلاثة أقسام :

**الأول** : الكاملون الطالبون للمعارف الحقيقيّة والعلوم اليقينة ، وهؤلاء يُدعون بالحكمة ، وهي : الدلائل القطعيّة اليقينيّةُ .

**الثاني** : الذين تغلب على طباعهم المشاغبة والمخاصمة لا طلب المعرفة الحقيقيّة

---

(١) مسلم (٨/١/٣٦) ، والترمذي (٢٧٣٨/١١٩/٤) ، وأبو داود (٢٦٧٠/١٢/) ، والنسائي (٨/٩٧) ، وابن ماجه (٦٣/٢٤/١).

(٢) « الجهاد » د. عبد الرحيم محمود.

والعلوم اليقينية ، وهؤلاء يجادلون المجادلة التي تفحمهم وتلزمهم .

**الثالث** : الذين لم يبلغوا في الكمال حدّ الحكماء ، ولا في النقصان حدّ المشاغبين المخاصمين ، بل هم باقُونَ على الفطرة الأصيلة والسلامة الخَلقية ، وما بلغوا درجة الاستقراء لفهم الدلائل اليقينية ، والمعارف الحكمية ، وهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة .

ولكون الحكمة أعلى الدلائل وأشرفها ، والمدْعوّينَ بها هم الكاملين الطالبين للمعارف الإلهية والعلوم الحقيقية – وقليل ما هم – جيء بها أولاً ، ولكون الجدل أدنى الدلائل ، إذ ليس المقصود منه الدعوة ، وإنما المقصود إلزام الخصم وإفحامه ، ولا يستعمل إلا مع الناقصين الذين تغلب عليهم المشاغبة والمخاصمة ، وليسوا بصدد تحصيل تلك العلوم ذُكر آخراً .

ولكون الموعظة الحسنة دون الحكمة وفوق الجدل ، والمدعوون بها هم المتوسِّطونَ الذين لم يبلغوا في الكمال حدّ الحكماء ، ولا في النّقص درجة الجدال ، وسطت بين الأمرين [1] ! وعلى ذلك يكون معنى الآية :﴿ ادع إلى سبيل ربِّك بالحكمة . . . ﴾ أي : ادع الأقوياء الكاملين إلى الدين الحق ، بالحكمة ، وهي : البراهين القطعية اليقينية ، وعوام الخلق بالموعظة الحسنة ، وهي : الدلائل اليقينية الإقناعية ، وكَلِّم المشاغبين بالجدل على الطريق الأحسن الأكمل ، ولا تحقد عليه ، ولا تغلظ له القول ، ليعلم أنه ليس غرضك إهانته وإفحامه ، وإنما غرضك إقناعه والوصول به إلى الحق .

وعليك أيها الداعية أنْ تتفرَّس في المدعوين ، فتعرف بفطنتك أصنافهم ، والوسيلة التي تناسبهم كما عليك أن تتفرَّس فتعرف بحكمتك ما يناسبهم ، فتدعوهم إليه وتذكرهم به ، فلا تتكلم معهم في موضوع لا ينفعهم ، ولا تترك ما يحتاجونه .

نسأل اللّه أن يرزقنا السَّدادَ في الرأي ، والإصابةَ في القولِ ، وأنْ يرزقنا الحكمةَ ، إنه وليّ ذلك والقادر عليه . ❑

**( وللبحث صلة ) .**

( ١ ) « التفسير الكبير » ( ١٤١/٢٠ )

# المطلب الثالث

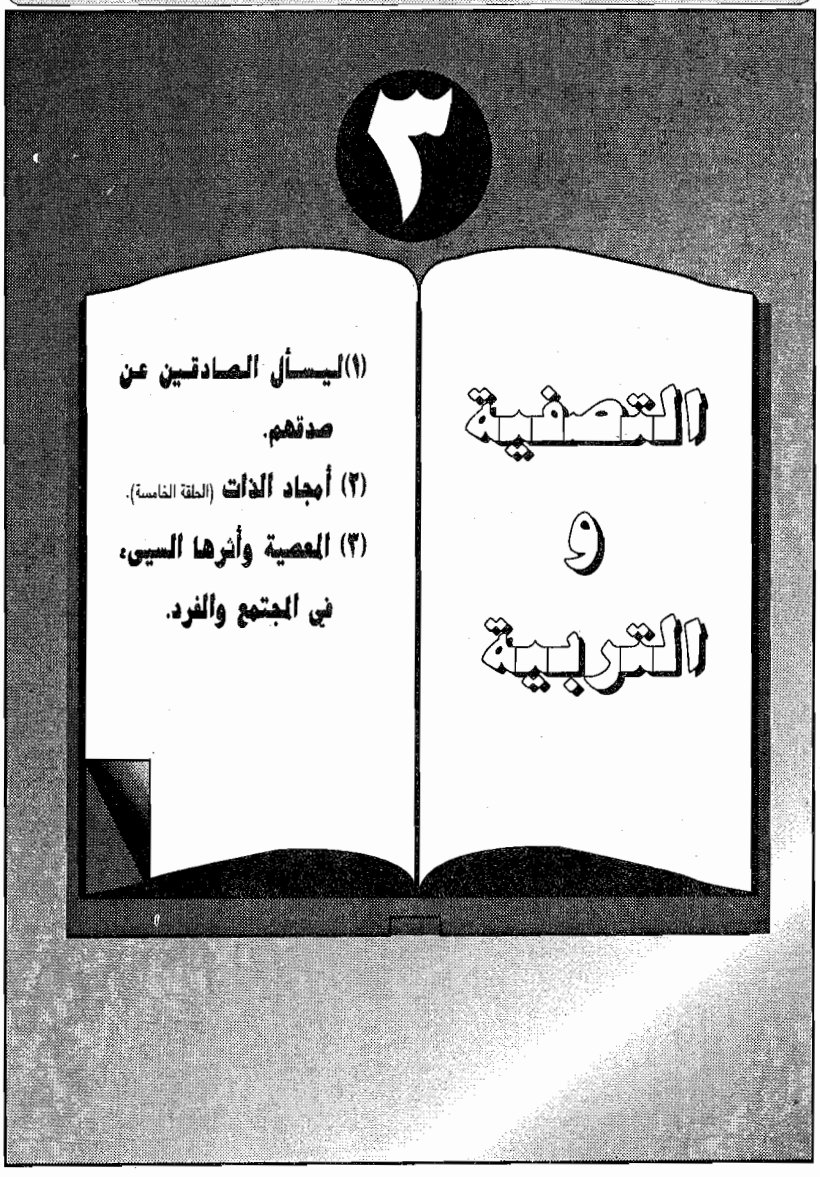

# ليسأل الصادقين عن صدقهم

محمد إبراهيم شقرة

الصِّدقُ جماعُ الأخلاقِ ،ومعدن الفضائل ،وأساسُ التقوى ، من أخذ به فقد أخذ بحظ وافر من الخَير، ومَنْ ودَعه فقد آوى نفسه إلى خُسرٍ وشرٍّ ، ولا يستقيمُ أمرُ الجماعة ، ولا تشتد مِرَّتُها ، ولا تستحكم عروتُها إلا بالصدق ، لذا فقد خاطب اللّه جماعة المؤمنين أنْ يُلزموه أنفسهم ، إخلاصاً،وعملاً ، وبرهاناً يقوم فيهم – من غير أَمَتٍ ولا عوجٍ – على كل شيء في حياتهم قال تعالى: ﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا اللّه وكونوا مع الصادقين ﴾.

وفي هذه الآية خطاب للمؤمنين كافةً في كل الأمصار والأعصار : أن يكونوا مع الصادقين ، إذ الصدق هو السّمةُ التي يجب أَنْ تُشام في الأُمَّة من ذاتها، ومن غيرها ، لا تغيب عنها ساعة من ليل أو نهار ، وكيف يكون للأمة أن تأذن لها أن تغيب، وهي تلك السّمة التي تقتات بها من فضلها كل الفضائل التي عاشت بها مذ كانت ؟!

وعليه فإن الأمّة المسلمة ، وهي تُخاطَب بلزوم الصدق بكونها جماعة ، لا تخاطب بذلك إلا ليكون منها التعاون على أن تظلَّ سمةُ الصدق باقيةً فيها أبد الدّهر ، هذا أوّلاً .

وأما ثانيًا : فهو خطاب لها بالثبات على تلك السِّمة ولزومها ، لتبقى مقيمةً على الإيمان ، فلا يكون إيمانٌ إلا بالصدق ، ولا يكون صدق إلا بالإيمان، فهما أمران مشتبكان متداخلان، لا ينفكُّ أحدهما عن الآخر، فهو بذلك سبحانه يخاطبهم أنْ يكونوا مع أنفسهم ، فلكأنَّما يقول لهم : اثبتوا مع أنفسكم بأنفسكم في أنفسكم على الصدق، لأنَّ الإيمان لا يكون إلا به، ولن تكونوا مؤمنين إلا إنْ كنتم صادقين ، وهذا ما نلمحه في الآيات التي جاءتْ تُثْبِتُ لكثيرٍ من الناس كذب دعواهم أُموراً لا تثبت أمام العقل، وهم ينسبونها إلى أنفسهم إما بنسيان أنَّهم بشرٌ عاجزون وإما بكذبٍ يتطاولون به إلى ما ليس لهم إليه من سبيل ، وذلك من مثل قوله سبحانه :

﴿ قل يا أيّها الذين هادوا إنْ زَعَمْتُم أنَّكم أولياءُ للّه مِنْ دونِ الناس فتمنوا الموت إنْ كُنتم صادقين ﴾ ، ومن مثل قوله أيضًا : ﴿ أإله مَعَ اللّه قُلْ هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ .

وخطاب اللّه سبحانه جماعة المؤمنين في الآية بلزوم الصدق ، يشبه خطابه إياهم في آيةٍ أُخرى بلزوم الإيمان، وذلك قوله سبحانه: ﴿ ياأيها الذين آمَنوا آمنوا باللّه ورسوله والكتاب الذي نزَّل على رسوله والكتاب الذي أنْزَلَ من قبل ﴾، فهو سبحانه يخاطب المؤمنين بلزوم الإيمان ، وهم لازموه ، فهو يقول لهم : اثبتوا على الإيمان وما يقتضيه من التصديق برسوله والكتاب الذي جاءَ ، والكتب المنزلة على الأنبياء والرسل من قبله .

وأشباه هاتين الآيتين ونظائرهما في القرآن كثيرٌ ، إما بصريح لفظ الإيمان والصِّدق، وإما بلفظ مقتضياتهما ، مما يهديان إليهِ ، فلازِم الشيء كالشيء ذاته .

ولكي تبقى صورة الصدق بلفظه وبمعناه حَاضرةً في عقل الأُمَّة وقلبها ، في كل زمان – فلا تكون لها حُجَّة في المخالفة عنها – فقد جعل اللّه سبحانه الصدق وصفًا لكل شيءٍ تهتدي به الأُمَّة إليه – يستوي في هذا زمان نُزول الوحي ، وما يأتي بعده من أزمنة – في الدنيا والآخرة، بدءًا من نفسه الشريفة سبحانه وجعله آياتٍ تتلى في قرآنه ، وكلماتٍ عِذابًا بليغةً أَجراها من وحيه على لسانِ نبيه عليه الصلاة والسلام، تتفتق بها أذهانُ المؤمنين عن استجابةٍ طائعةٍ ، وإخباتٍ منيبٍ، وشوقٍ فائق ، وتبقى مرقومةً على صفحات قلوبهم بمِداد النور ، وتظلُّ محفوظةً في أوعيةِ صدورهم بأَوكيةِ الرجاء والخوف معاً .

ووصفَ اللّه سبحانه نفسه الشريفة بالصِّدق ، فقال : ﴿ قُلْ صَدَقَ اللّهُ فاتَّبعوا ملَّةَ إبراهيم حنيفاً ﴾ ، وقال : ﴿ وَصَدَقَ اللّهُ وَرَسولُه ﴾ .

ووصف كتابه المحكم بالصِّدْق ، فقال : ﴿ وتَمَّتْ كلمةُ ربِّك صِدْقاً وَعَدْلاً لا مبدِّل لكلماته وهو السَّميع العليمُ ﴾ ، ووصف نبيه صلى اللّه عليه وسلّم بالصدق ، فقال : ﴿ والذي جاء بالصِّدْق وَصَدَّقَ به أولئك هم المفلحون ﴾ .

ووصف أنبياءَهُ – عليهم الصلاة والسلام – بالصِّدق ، فقال : ﴿ وَوَهَبْنا لَهُم مِنْ رَحْمَتِنا وَجَعَلْنا لَهُم لِسانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ .

ووصف أصحاب نبيه – رضوان اللّه

عليهم – بالصدق ، فقال: ﴿ وَيَنْصُرونَ اللّهَ ورسُولَه أولئك هم الصَّادقُون ﴾، وقال: ﴿ من المؤمنين رجَالٌ صدقوا ما عَاهَدُوا اللّهَ عليه ﴾.

ووصف يوم القيامة بالصِّدْق ، فقال: ﴿ إنَّما تُوعَدُونَ لَصادق ﴾ .

وَوَصف ثوابَ المؤمنين الصَّادقين عند ربِّهم يومَ القيامة بالصدق ، فقال: ﴿ في مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَليكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾.

فهل يكون للمؤمن ، وهو يبصر بالصدق وصفًا لكل هؤلاء ، أن يكون غير صادق ؟ ، حاشا ؛ أن لا يكون صادقًا ، بل إنَّ الصِّدق لَيُلْزِمُه ذاته ، ولا ينفك عنه ، إن حدَّث نفسه بغيره ، وليس في وسعه ذلك ، إن كان يعلم المنزلة التي توقفه بين الرَّجاء والخوف ، أما إنْ كان يجهلها – وليس هو بجاهلها ؛ إلا مِنْ كبر يتغشّاه رداؤه – فإنَّهُ بذلك يضنُّ على الصِّدق بنفسه ، أما الصِّدق فله شأنه مع الصَّادقين .

لا شكَّ أنَّ الإنسان حين يحيط علمًا بالصِّدْق الواقع وصفًا على هذه الأشياء ، فإنَّه لا يملك إلا أنْ يكون على وفاق لهذا العلم ، فلا يكون ثَمَّة إلا صادقًا ، فيسلك نفسه في نظام الصِّدق والصَّادقين ، الذين أخذ اللّه العهد عليهم أن يكونوا صادقين ويحوز شرف النسبة إليهم ، بما وفَّوا بالعهد الذي أُخذ عليهم ، فكانوا عند حسن ظنهم باللّه ، فأبرموا به وفاءً بعهده ، فكانت نسبتهم إلى الصدق شَهادةً من اللّه ، تسعى بين أيديهم – بما صدقوا – مُنيلَتَهُم نعيمًا ، ما كان لهم رجاء صدق في الدنيا ، شاقهم إلى لقاء ربهم سبحانه، فكان بصدق رجائهم في الصِّدق ثوابُ صدق .

وهل يكون لمؤمن أن لا يستقيم على جادَّة الصدق ، وهو يعلم يقينًا أنَّه ماثلٌ يومًا بين يدي ربه سبحانه ليسأله عن صدقه ، في كلِّ ما هداه إليه بوصف الصِّدق ، فلا يضلُّ عنه، ﴿ لِيَسْأَل الصَّادقينَ عَنْ صدقهم وأعدَّ للكافرين عَذابًا أليمًا ﴾ .

إنها صورة صادقة ، يتقابل فيها الضِّدان ، اللذان يزدحمُ عند أسبابهما الخلق ، فالصدق له أسبابه وأهله ، والكذب له أسبابه وأهله ، والحرب سجالٌ بينهما جميعًا ، لكن الغلبة في النهاية للصدق وأسبابه وأهله ، فما كان اللّه ليذر الصدق إلا وأمرهُ ظاهر ، وإنْ طَالَ أمدُ الحرب بينه وبين الكذب .

ولا يكون الصادق صادقًا حَقًّا ، إلا بصدقه مع اللّه ، ومع نفسه ، ومع الناس

مؤمنهم وكافرهم على حدٍّ سواء ، صدقه مع اللّه في توحيده وعبادته إياه ، وصدقه مع نفسه ، في إخلاصه وحسن تصوره وتجرده ، وصدقه مع الناس ، من كان منهم مؤمنًا فبمُوالاتِه إياه ، وحُبِّه ، والنُّصح له ، والإمساك عن ظُلْمِه ، ومن كان منهم كافراً ، فبدعوته إلى الإيمان ، وصدق حرصه أن يتحول من الكفر إلى الإسلام ، وأنْ لا يحمله شنآنه إياه لكفره على أن لا يعدل معه .

بمثل هذا يكون صادقًا حقًّا ، لا يخشى في ثباته على صدقه إلاّ اللّه وحده فتنتفي عنه صفة المنافقين ، من مثل قوله سبحانه فيهم: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِن النَّاسِ ولا يستخفون من اللّه ﴾ ، ومن مثل قوله سبحانه : ﴿ فاللّه أحقُّ أنْ تَخْشَوه إنْ كُنْتم مؤمنين ﴾ ، ومن مثل قوله سبحانه : ﴿ يَقُولونَ بأفواههم ما لَيسَ في قلوبهم ﴾ .

والناظر البصير في حال الأُمَّة ، يجزم أو يكاد بأنَّ ما حلَّ بها من بلاءٍ، وما حاقَ فيها من وباءٍ ، وما حقَّ عليها مِنْ انتقاصٍ في أرضها وإجراء ، وما ينتظرها من فِتنٍ مضمَرةٍ في ظهر الغيب ، ما كان من ذلك شيءٌ كان أو سيكون ، إلا حين نَأتْ عن الصدق، وحطَّت برحالها على عتاب الآمال الخادعة ، المُدَّثرَة بالكذب ، والموشَّاة بالإفك ، وكان منها إجماعٌ على العدول عن الصدق فيما تفعل أو تقول ، أو تتصوَّر ، يستوي في ذلك عالمهم وجاهلهم ، خاصّتهم وعامتهم ، تقيُّهم وفاسقهم!!

ولقد علمت الأمة كلُّها – الخاصة منها والعامَّة – أن اللّه سبحانه ، قد أوجب عليها الصِّدق معه ، في الأخذ بالعهد والميثاق ، وجعله آياتٍ تتلى في كتابه ، وأبان لهم عن مآل المُريبين فيه ، الناكثين له ، العادلين عنه، ليفيدوا من ذلك كلِّه عبرة ، يحبسُون عندها أنفسهم عن العدول الناكث المريب ، وآتاهم منه علمًا لم يكن لأُمةٍ غبرت ، فما كان منها إلا أنْ أخذت بسمت من كانت منها العبرة، قال تعالى :﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقًا غليظًا. ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعدَّ للكافرين عذابًا أليمًا ﴾ .

وعلمتْ بهذا الميثاق المأخوذ عليها، أنها ليست على شيءٍ إلا بصدقها ، وحفظها ربُّها سبحانه في أنفسها ، لا يكون إلا بالأخذ الصَّادق بهذا الميثاق، وحفظه على وفاق ما قضى اللّه أن يكون الأخذ به ، وإلا فهي ناكثته ، ناقضته ،

مُريبةٌ منه .

ولعلَّ الواقعَ الأَليمَ الذي اتخذت منه الأمة رداءً لها ، يُنبيك عن إفلات الميثاق من يدها ، وأنها على بوار في أُمورها كلِّها ، حين تركت لنفسها الأَمَّارة أن تُغويها بإفلات الميثاق من يدها ، فلم يعد في وسعها أن تمسك بشيءٍ منه ، ومع تداول الأيام صار الميثاق نسيًا منسيًّا، فقد غاب عن قلبها غيابًا يحسب معه أن الأُمة لم يأتها نبأُ هذا الميثاق شأن أهل الكتاب ، إذ نبذوه وراء ظهورهم، فصار حال الأمة حال أهل الكتاب ، حتى صدق فيها قوله عليه الصلاة السّلام : « لتتبعنَّ سَنَنَ من كان قبلكم شبراً بشبرٍ وذراعًا بذراع . . » .

وكان الحرصُ على الأخذ بالميثاق، قد أوفى بالأُمة على رحبة الصِّدق ، بكلٍّ ما وعاه القرآنُ من الصدق وصفًا لما أسلفناه، مما وصفه اللّه سبحانه ، فكان ائتلاف من الأمة ، في عقيدتها في ربها، وفي عبادتها إياه ، فكانت به واحدة في تصورها وسلوكها ، لم تختلف على ذلك ، إلى أنْ أمعنَ فيها الشَّيطانُ ، يزرع في صدورها ونفوسها الشهوات والشبهات ، حتى غدَت مَطايا مذلَّلةً لتلك الشَّهوات والشُّبهات ، تُوجِّهها حيث تشاء ، وتمشي بها في كل وعر وسهل ، تدوس الشوك والزهر ، وتأكل الخبط والعشب ، لا تعرف طعمًا لما ينفعها ولا ذوقًا لما يضرُّها ، ولا مصيرًا لما ينتظرها .

وإذا ما أَلمَّ المرءُ بواقع الأُمَّة السيِّىءِ الأَليم ، يذكر قوله عليه الصلاة والسلام :« ستفترق أُمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلُّها في النار إلا واحدةً »، فيعلم أنه ما كان ليصيب الأُمة ما أصابها لو أنها لزمت الصدق ، ورغبت أن تكون صادقةً في لزومها له ، لتكون على وِرْدِهِ العذب مع معنى قوله سبحانه: ﴿ وكونوا مع الصَّادقين﴾ .

ثم إنَّ المرء لا يبصر شيئًا يؤمِّله أن تزحزح الأُمَّة نفسها عن هذا الواقع السَّيِّىءِ الأَليم ، إنه لا يبصر إلا ما يزيد من لصوقها له ، يُبصرُ فرقةً واختلافًا ، على الصِّدق ، وفيه ، وبه، ومنه ، لماذا ؟ لأَنَّ الأهواءَ برقت في الأمَّة ثناياها ، وسَارتْ على أرضها في خيلاءَ حاربةٍ عليها ، وأنالَتْها مِنْ رَغائبها ولذَّاتها ما نسيتْ معه قولَهُ سبحانه : ﴿ وكونوا مع الصَّادقين﴾، وبَسَطَتْ لها كفَّها بجواهرَ زائفة حَسبتْ أنها بالغةٌ بها تالد المجد وطارِفَهُ ، وزيَّنت لها الكذبَ وأسبابَه ، حتى صار فيها – أو كاد– سجيَّةً موهوبة ، تحمد نفسها بنفسها

عليها.

فالإعلام بكل وسائله، المنظور منها، والمسموع، والمقروء، لا يذكِّرُ إلا بالشياطين التي تسترق السَّمعَ من السَّماء، تأخذ كلمةً مما تسمع من حديث الملائكة، وتبني عليها مئةَ كذبة، ثم تلقي بها إلى أوليائها في منَّةٍ مستكبرةٍ، لا تحسر إلا عن إمعانٍ منها في إغواءٍ، أخذه كبيرهم عهداً على نفسه يومَ أُخْرِجَ من الجنَّة، ﴿فَبِعزَّتك لأُغوينَّهم أجْمَعين. إلا عبادَك منهم المخلَصين﴾، حتى كأنّي بقائل الإعلام يقول – وهو يستحضر في نفسه مقولةَ إبليس هذه –: إنَّ التشبُّهَ بإبليسَ فلاحٌ!!!

والأحزاب السياسية التي تُركِضُ خيولَها الهزيلةَ في حلبات الصِّراع السياسي، وتتنافس تنافساً مضحكاً مبكياً – في آنٍ معاً – على كراسي النِّيابة والسلطة، رؤوسها لا تفكر إلا بما يُمْلى عليها، وألسنتها لا تعرب إلا بما حُشِيتْ به هذه الرؤوس، و «نعم ولا»، كلمتان أو حرفان لا يفهم معناهما بالمتبادر مما وضعا له في اللغة، فـ «نعم» قد تصبح عند هذه الأحزاب «لا»!

و «لا» قد تصير «نعم»! ثم هما لا تتحرك بهما ألسنة هذه الأحزاب، إلا إنْ أُذنَ لها أن تَتَحرَّك، ذلكم أن ذيولها طويلةٌ جداً، تتجاوز حدود الوهن الذي تتغنَّى به، وتشيد بأمجاده، وتدَّعي أنها تعمل من أجل هوائه ومائه، وترابه، وإنسانه!!، تُمسك عليها أيْدٍ لا تُرى، وإن كان يُسمع لها حسيسٌ، من تأوُّهاتٍ مكتومةٍ، وأنَّاتٍ مكظومة، تتسرب من مسامِّ الرِّقاب المسمَّنة بالوعود الكاذبة، الموفور لحمها من حرام الكسب، فقد أبت تلك الأحزابُ على نفسها، إلا أن ترغب بنفسها عن الصدق، الذي رعاها إليه ربُّها العظيم سبحانه، وأبان طريقه رسولُه صلوات الله عليه وسلامه.

والجماعات والأحزابُ الإسلامية – التي تتوهَّمُ، وتُوهمُ الأُمَّة – أنَّها تعمل للإسلام، وتسعى لاستئناف الحياة الإسلامية، والعودة بالأُمَّةِ إلى الحكم بشريعته، لا تقلّ سوءاً في حالها عن الأحزاب السياسية، ولو صدقت ربَّها لما أعرضَتْ عن مثل قوله: ﴿ولا تَنازَعُوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾، فأيُّ إسلامٍ هذا الذي تنتحله كلُّ جماعةٍ أو حزبٍ منها؟ وتدَّعي به أنها على أفضل مما عليه غيرها؟!

لقد جعلت هذه الأحزابُ والجماعاتُ دينَ الإسلام مذاهبَ وأديانًا

مختلفة متباينةً ، يكادُ كلُّ دين منها أو مذهب لا يلتقي مع سواهُ من المذاهب والأديان ، التي تتناءَى بها هذه الأحزاب والجماعات بعضها عن بعض ، وما أَصْدَقَ فيها جميعًا - إذ أبوا الصِّدق مع اللّه - مثل قوله سبحانه: ﴿ فَتَقَطَّعُوا أمرهم بينهم زُبُرًا كُلُّ حزبٍ بما لديهم فرِحُون﴾ ومثل قوله: ﴿ إنَّ الذين فرَّقوا دينَهم وكانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُم في شيءٍ﴾.

ولو صَدَقُوا اللّه لكان خيراً لهم ، وصدقُهُمُ اللّهَ لا يكونُ إلا على نحو ما صَدَقَتِ القرونُ الفُضْلَى ، فكان به صلاحها ، وما لم يكن في تلك القرون دينًا ، فلن يكونَ اليومَ دينًا ، ولا يصلحُ آخرُ الأُمَّة إلا بما صلح به أوّلها ، والأمرُ الأَوَّل العتيقُ هو الذي تَصلُحُ به ، سواءٌ أكان في العقيدة، أم كان في الأحكام الشَّرعية، التي هي التعبير العمليُّ للعقيدة، ولكن أين الصِّدْقُ من هذه الأحزاب والجماعات، وكلُّها تظنُّ أَو تعتقد أنها لا تصدر في كلِّ أمرها، إلا عن تصوّر واضح للإسلام عقيدةً وأحكاماً، على منهج الكتاب والسُّنة؟!

ولو كان منها النَّصَفَةُ لأنفسها ، لعمدت إلى دفاترها كلِّها فَمزَّقتها، وألقَتْ بها بعيداً، بل ولأحرقَتها، كيلا يجول بخاطرها يوماً أن تعود إلى التّفكير فضلاً عن النَّظر فيها.

هذا ما يقتضيه الصِّدق، لوكانت مِنَ الصِّدق أو إليه من سبيلٍ!!! ولستُ أحسبُ أنه بغائبٍ عن تلك الجماعات والأحزاب، أنَّ فيها الصدق وفيها غيره ولا بدّ، فكيف لنا أن نعرف الصِّدق من غيره؟!!.

نعرفه بالمعيار الذي لا يخطىء، وبالميزان الذي لا يظلم، ألا وهو «الكتاب والسنة بفهم القرون المفضلة»، فمن ابتغى وراء ذلك فقد ضَلَّ ضلالاً بعيداً، وكان للصِّدق عدوًّا مُبيناً!!

والعلماءُ -وما أضلَّ سعيهم- وليت زماننا خلا منهم- إلا من كان منهم على فهم القرون المفضَّلة لكتاب الله وسنَّة نبيِّه صلى الله عليه وسلم- فغير هؤلاء، عقبةٌ كأداء في طريق الدعوة، وليس يقوى على قطع هذه الطريق ، إلا كل ذي بأس شَديدٍ، مُتسربل بسلاح لا يفلُّ، وشجاعة لا تدفع: سلاح العلم الصحيح وشجاعة الإيمان، وقليل هم أولئك الذين سَعدوا بهما معاً.

ولا أحسب إلا أنَّه قد صدق في علماء هذا الزمان قول نبّينا صلى الله عليه وسلم: « إن اللّه لا يقبضُ العلم انتزاعاً، ولكن ينزِعُهُ بِموتِ العُلماء،

حتى إذا لم يَبْق عالمٌ اتَّخذَ النّاس رؤوساً جُهَّالاً، فاستفتوهم فأفتوهم بغير علمٍ، فضلّوا وأضلُّوا»، وأظهر دليل يهديك إلى ما دلَّ عليه هذا الحديث، تلك الشحناء المثقلة بردم الجهل، التي يتخاصم إليها وبها طوائف من يسمَّون بالعلماء في زماننا هذا!!.

وعلى الرغم من كثرة ما يؤلَّف ويكتب، فإنَّك لا تكاد تجد في هذه الأكداس منَ المؤلفات والكتب، إلا القليل مما ينفع اللهُ به الناس، فقد حقَّ عليها نبوءَة الرسول صلّى اللّه عليه وسلم، من ظهور القلم، وشيوع الجهل وارتفاع العلم، وإلا، **فمتى كان الخلافُ في الفتوى، وتوارد الآراء المختلفة على المسألة الواحدة سبباً في التَّعادي، والتطاعن، وإعجاب كلِّ ذي رأي برأيه؟** وكأنّي بهم على مثل ما أخبر نبينّا عليه السلام: «الناس كإبل مئة، لا تكاد تجد فيها راحلة...».

إنَّ نظرةً عَجْلى في سيرة القرون المفضلة، لتقفنا على الحرص الشديد، الذي جعل من الآراء المختلفة، المتواردة على المسألة الواحدة، سبباً في أُلفتهم، ومودة قلوبهم، وتنافسهم في خير العلم، وتعاونهم على تيسير أسبابه بعضهم لبعض.

فأين من أولئك طوائف متسارعة اليوم في مسائل معدودات من الجمِّ الغفير، والعدد الوفير من مسائل العلم، تتدافع عند بدهياتها، وتتناطح أمام ما انتهت إليه فُهومُ الأسلافِ فيها ؟! إنهم آسادٌ ضاربةٌ على بعضهم، نعاماتٌ مستسلمةٌ أمام غيرهم.

لقد غابت التَّقوى، وعميت السُّبل على الخشية – ثمرة العلم – فمتى يعرف أَهلُ العلم أنَّ للعلم حقًّا صادقاً عليهم، لا يُعرف إلا بثماره، ولا يُدرك إلا بجنى ينعه؟!

ومتى يعرف أَهلُ العلم أن للأُمَّة حقًّا صادقاً عليهم، بأنْ تَرى فيهم الأُسوةَ الحسنةَ، في السَّمتِ، والسُّلوك، والائتلاف الجميل، ومجانبة الأهواء السّافكَة للتَّقوى، والتَّناصح فيما بينهم على أساس من الإخلاص والعلم الصحيح؟!

وأُمراءُ الأُمَّة أين يقعون، من دائرة الصِّدق؟

لقد نَشبَتْ بينهم وبين الأُمَّة حربٌ مكتَّمة زماناً، ثم تفجَّرت في بعض أَجزاءٍ من أرضِ الإسلام، واستطار شَرَرُها، وتفرَّق لظاها حتى كادت أن تدخل كلَّ بيتٍ من مدرٍ أو وَبر، والعقَلاءُ من الأُمَّة ينظُرون في فَزع

وَرُعْبٍ ، مما يقدِّرون أن سيكون في مقبل الأيام، ويقولون في أنفسهم وفي ملأ، جاهرين بأصواتهم : أنْ يا قومنا ! أَجيبوا داعي اللّه ، وكفكفوا دموع الإسلام المدرارة ، واغسلوا عن جبينه الهمَّ الذي صنعته أيديكم ، واقطعوا حبال الشر الموتَّرة بينكم ، وهلاَّ كان فيكم جميعاً عقل لما أَخبركم به نبيُّكم صلى اللّه عليه وسلّم من بغضاءَ تكون بينكم في آخر الزمان تقطِّع المودَّات ، وتُعَمِّق في جذور العداوات ، وتجعل من كل فريق منكم باغياً على الآخر ، حتى بأثارة الحب أن كانت تكون ، وجاثياً على ركبته يفوِّق سهمه إلى ظهر الآخر في حرصٍ تُمليه عليه بغضاؤُه الآثمة !!

إنكم لستم عاجزين أن تلتقوا في منتصف الطَّريق ، ويدع الأُمراءُ بعض ما هم عليه مما سعت به العداوة بينهم وبين الأُمَّة ، وهو كثير كثير ، وليس يخفى عليهم أنَّ الأُمَّة لا يرضيها أن تَبقى فيها المنكراتُ صارخةً بأَعلى صوتها ، جاثية على رُكبها فيها ، مطمئنةً أنها لا تنال بأَذى في أرضها.

وتبدع الأُمَّة كؤوس الخيال ، تديرها بسقّاط الأَسمار ، وهي تعلم أَنَّ للأمَراء حدوداً ليسوا يقدرون على تجاوزها ، لا رغبةً منهم في الكيد لأُمَّة ، ولا حرصاً على إذكاءِ نار العداوة والبغضاء فيها – منهم من الأُمَّة التي هم نتاجها – بل من عجزٍ ليسوا بمُغمضين عيونهم عنه ، ولا بمنكريه!!

وأحسب أن لو كان تلاقٍ بين الأُمَّة وبين أُمرائِها في وسطِ الطَّريقِ، لأُزهقت كثير من سُبُلِ العداوة.

وبعد : فليس بعجب أنْ تستقرَّ نار العداوة المحرقة ، بين طوائف الأُمَّة كلها، وتكون في بعضٍ منها حماسة لا يقلُّ تسعُّرها عن نار العداوة تلك ، وكل من النارين تسعى لأختها ، حتى يلتقيا معاً في جزءٍ من أرضِ الإسلام ، والويل لتلك الأَرض ، ولمن عليها ، مما يكون من تَسَعُّر تَيْنِكُم النارين ، ويومئذٍ ينظر العقلاءُ في أنفسهم ، فلا يجدون لعقولهم مكاناً في صدورهم ، ولا حسًّا ينبئ عن إدراكٍ في جوارحهم ، ولا حدْساً يقدرون على شيءٍ من الظنِّ في عواقبهم.

وليس يُنَبِّئُكَ عن الخبيء مثلُ ظهوره، ولا عن المستور مثل شروره ، ولا عن المشهود مثل شهوده ، فإلى أين، إلى أين ............. ؟!!!□

□□□□□

الحلقة الخامسة

# أمجاد الذات

محمد موسى نصر

النّاسُ في بناءِ أمجادِهم على ضربين:

**الأوَّل**: أمجادٌ دنيويّة، كأن يسعى أحدُهم ليكون وجيهاً، أو غنيّاً، أو رئيساً، أو نجماً فنيّاً.

**الثاني**: أمجادٌ دينيّةٌ، كأنْ يصبحَ أحدهم مديراً لمؤسسةٍ تعليميّة، أو معهدٍ شرعيٍّ، أو قاضياً، أو مفتياً، أو ذا لقبٍ دينيّ مرموقٍ، صاحبَ فضيلةٍ، أو صاحبَ سماحة، أو أستاذاً يشارُ إليه بالبَنان، أو علاّمةَ زَمانه بلا منازعٍ!

وأكثرُ هؤلاءِ وأولئك يركبون الصعبَ والذَّلول للوصولِ إلى قمّةِ مجدِهم، وبعضهم – بل أكثرُهم – يستخدمون وسائلَ غيرَ شرعيّةٍ للوصولِ إلى قمّةِ هرم مجدِهم.

والذي يعنينا في هذا المقامِ أصحابُ الصنفِ الثاني، أي: ذَوو الأمجادِ الدينيّةِ، فقد قنعَ أكثرُ العاملينَ في حقلِ الدعوةِ الإسلاميّةِ بما في أيديهم، بل تقوقعَ كلُّ واحدٍ منهم ضمنَ دائرةٍ مغلقةٍ لا يخرجُ منها، ولا يتجاوزُها إلى ما هو أجدى وأنفعُ منها، ويحسبُ أنّه – لا أقولُ – على شيءٍ،! بل على كلِّ شيء، وقد وسعَ عملُهُ كلَّ خيرٍ، وأخذَ ينظرُ إلى الآخرينَ نظرةَ ازدراءٍ واحتقارٍ وتقزيم، فلا يرى إلاّ نفسه من منظارِنفسه، فلا يكبّر إلاّ عملَه، ولو سئلَ عن غيرِه لاعتبرَ مدحَه لغيرِه – ولو كانوا معه على الطريقِ والمنهجِ والعقيدة – قدحاً وذمّاً فيه،فيسعى بكلِّ حيلةٍ وواسطةٍ لتوهين غَيره،إما بغمزِه أو لمزِه أو نخزِه نخزاتٍ سامّةً خفيّةً، إنْ لم تَقتله اليوم، قتلتْه، أو أدمتْه، في الغد، أو بَعد غدٍ، فالقنابلُ الصوتيّةُ والدخانيّةُ وإن لم

تقتل فهي تروّعُ وترعبُ ، وتعملُ في النفوس أشدَّ من عملِ الكؤوسِ.

لقد كانَ أسلافُنا لا يرونَ أنفسَهم شيئاً أمامَ إخوانِهم ، ولا يسلبونَ الآخرينَ حقوقَهم ، ولا ينازعونهم الشهرةَ والرئاسةَ.

إنَّ كثيراً من المتدينين أشركوا أنفسَهم مع اللّه ، يومَ أن والَوْا في أنفسِهم وهجروا لأنفسِهم ، وعادوا لأنفسِهم ، زاعمينَ – أكثرُهم – أنَّ خلافَهم مع زيد أو عمرو خلافٌ منهجيٌّ ! وكأنّهم وحدَهم أربابُ المنهجِ وأوصياؤه ومُنَظِّروهُ ، يحددونَ معالمه ، ويرسمونَ حدوده ، يعرفونَ مداخله ومخارجَه.

لقد تشبّع كثيرٌ من الدُّعاة وطلاّب العلمِ بما لم يُعطوا ، وألبسوا أنفسَهم ثياباً ليست لهم ، وغرّهم أن قد قيل فيهم كذا وكذا مع قناعتهم وقناعة القريبينَ منهم أنّهم ليسوا كذلك ، ولا قريباً من ذلك ، ومع ذلك يخادعون أنفسَهم ويمنّونها الأمانيّ.

إنَّ البلاءَ ليسهلُ ويهونُ عندما يكونُ الداءُ ظاهراً معلوماً ، وحينما يكونُ العدوُّ مكشوفاً من الخارجِ ، ولكن يعظمُ الداءُ ويشتدُّ البلاءُ حينما يكونُ داءُ الرَّجل من نفسه.

لقد قَنَعَ بعضُ الدعاة بإصلاحِ مظهرِهم دون مداواةِ نفوسِهم ومعالجةِ أدوائهم ، وتزكيةِ نفوسِهم ، ليكتبَ لهم الفلاح ﴿قد أفلحَ من زكّاها وقد خابَ من دسّاها﴾.

لقد اختلت الموازينُ اليومَ عن موازينِ الأمسِ ، فغدا العالمُ عندَ النّاسِ هو اللسنَ عليمَ اللسانِ ، أو الخطيبَ المصقعَ ، أو المؤلّفَ البارع ، أو صاحبَ اللقبِ والشهادة، مع أنَّ العالمَ ، وطالبَ العلم ، والداعيَ إلى اللّه ، هو الذي يخشى اللّهَ ويتقيه ، وهو الذي يَزهدُ في دنياه ، ويُقْبلُ على آخرته أو هو الذي يقومُ ليلَه ، ويصومُ نهارَه ، أو هو الذي يتعلّم ويعلّمُ ابتغاءَ وجهِ اللّه ، لا لينالَ بعلمه دنيا فانيةً أو جاهاً عريضاً ، أو منصباً رفيعاً ، أو ليصرفَ وجوهَ النّاسِ إليه ، أو ليشارَ إليه بالبنان.

إنَّ العالمَ حقّاً وطالبَ العلمِ حقّاً هو الذي يُؤْثرُ مصلحةَ الأُمَّة والجماعة على مصلحته الفرديّة ، فيعملُ على بناءِ أمجادِ الأُمَّة قبل أن يفكرَ أو يخطو خطوةً واحدةً في بناءِ أمجادِه الشخصيّة ، فالدينُ كلّنا له

فداء ، ومن أظلَمُ ممن راح يمتطي الدينَ لخدمة نفسه ، وبناء أمجاده وأحلامه، ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وأمّا ما ينفعُ النّاسَ فيمكثُ في الأَرضِ ﴾.

﴿ ولَنُسكِنَنَّكُمُ الأرضَ من بعدهم ذلك لمن خافَ مقامي وخافَ وعيدِ ﴾. ❑

❑❑❑❑❑

مع العلم فاسلك حيث ماسلك العلمُ ... وعنه فكاشف كلَّ من عنده فهمُ

ففيه جلاءٌ للقلوب من العمى ... وعونٌ على الدين الذي أمرُه حتمُ

وإني رأيتُ الجهل يُزري بأهله ... وذو العلم في الأقوام يرفعه العِلْمُ

يُعدّ كبير القوم وهْو صغيرهم ... وينفذ منه فيهمُ القول والحكمُ

فخالط رواة العلم واصحب خيارهم ... فصحبتهم زين وخلطتهم غُنمُ

ولا تعدُوَنْ عيناك عنهم فإنّهم ... نجومٌ إذا ماغاب نجم بدا نجمُ

فوالله لولا العلم ما اتّضح الهدى ... ولا لاح من غيب الأمور لنا رسمُ

# المعصية وأثرها السيىء في المجتمع

رائد بن صبري بن أبي علفة

إنَّ للمعاصي والذنوب آثاراً كبيرةً، ونتائجَ خطيرةً على المجتمعِ والفردِ ، وقد بّين اللّهُ لنا هذه الآثارَ أكملَ تبيين منذ أن وقعت المعصيةُ الأُولى ، ولنأخذ بعضاً من النصوصِ القرآنيّة ، والأحاديث النبويّة ، والآثارِ السلفيّة التي احتوت على ذكرِ هذه الآثار:

قال تعالى :﴿ وعصى آدمُ ربَّه فغوى ثُمَّ اجتباهُ ربُّه فتابَ عليه وهدى قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعضٍ عدوّ فإمّا يأتينّكم منّي هدى فمن اتّبعَ هُدايَ فلا يضلّ ولا يشقى ومن أعرضَ عن ذكري فإنّ له معيشةً ضنكاً ونحشُرُه يومَ القيامة أعمى قال ربِّ لم حشرتني أعمى . وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتكَ آياتُنا فنَسيتَها وكذلك اليومَ تُنسى وكذلك نجزي من أسرفَ ولم يؤمن بآياتِ ربِّه ولَعذابُ الآخرةِ أشدُّ وأبقى ﴾ .

فهذه الآياتُ تضَمّنت ذكرَ جملة من الآثارِ السيّئة الناتجة عن المعصية ، فبَيَّنَ اللّهُ عزَّ وَجَلَّ أنّ مآلَ المعصيةِ إلى الغيِّ الذي هو الفسادُ ، فكأنَّه يقولُ : مَنْ عصى اللّه ؛ أفسدَ اللّه عليه معيشتَه في الدنيا ، وهذا المعنى مذكورٌ أيضاً في هذه الآيات ، فقوله تعالى : ﴿ فمنِ اتَّبعَ هُدايَ فلا يَضِلُّ ولا يشقى ﴾ لازمُه أنَّ مَنْ لم يتبعْ هدى اللّهِ ؛ فإنَّه يضِلُّ ويشقى ، والآياتُ بعد تصرِّحُ أكثرَ فأكثَر ، ﴿ وَمَنْ أعرضَ عَنْ ذكري فإن له معيشةً ضنْكاً ﴾ ؛ أي : إنَّ لَهُ الشَّقاءَ والضِّيقَ قال ابن كثيرٍ في « تفسيره » (٣ / ١٦٤ ):« أي: في الدنيا، فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره

بل صدره حرج لضلاله ، وإن تنعم ظاهره ،ولبس ما شاء ،وأكل ما شاء ، وسكن حيث شاء ؛ فإن قلبه مالم يخلصْ إلى اليقين والهدى فهو في قلق ، وحيرة ، وشك ،فلا يزال في ريبة يتردد ، فهذا من ضنك المعيشة » .

وكم رأينا وسمعنا عن أناس يملكون من الأموال ملايين ، ينتحرون بإلقاء أنفسهم من أماكن مرتفعة ،فما هو السبب الذي يجعل بعضهم يفعل ذلك ؟ إنه ما منْ شك ضنك العيش الذي جناه بسبب إعراضه عن ذكر اللّه ،ومآله يوم القيامة إن لم يتب قوله تعالى: ﴿ ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ﴾ أن يحشر يوم القيامة أعمى ، ويُترك في النار ﴿ قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ ، والمراد بالنسيان : تركه في النار جزاءً وفاقًا فكان العقاب من جنس العمل .

وانظر إلى آثار ونتائج المعاصي في قوله تعالى : ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرجْ لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلّة والمسكنة وباءوا بغضب من اللّه ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات اللّه ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ .

فهذه الآية أيضاً احتوت على عدة آثار ، منها :

أولاً : أن اللّه حكم عليهم بدنيَّة العيش ، لما طلبوا ذلك ، فوقع عليهم ما كانوا يطلبون ، فقد استبدلوا البقل والقثَّاء والفوم والعدس والبصل – الذي هو أدنى– بالمن والسلوى–الذي هو خير.

ثانياً : ضربت عليهم الذلّة ، التي هي الذلّ والصغار ، وليس هذا فحسب ، بل وضربت عليهم المسكنة، التي هي الفقر والخضوع ،

وألزمهم وقضى عليهم بها .

ثالثاً : أنهم باءوا وانقلبوا بغضب من اللّه تعالى .

وتدبر قول اللّه تعالى :﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾، ومعنى يخالفون عن أمره ؛ أي : يعرضون عن أمره نتيجة الفتنة ، التي تشمل الردة ، والقتل ، والزلزال ، والأهوال ، والسلطان الجائر ، والطبع على القلبِ، ثُمَّ بَعدَ ذلك العذاب الأليم .

وقد جاءَ رجلٌ إلى الزبير بن بكار ، فقال له : يا أبَا عبد اللّه ! من أَين أُحرمُ؟ قال : من ذي الحليفة ؛ من حيثُ أَحرمَ رسولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلّم ، فقال : إنّي أُريدُ أَن أُحرمَ من المسجد ، فقال : لا تفعل ، قال : إنّي أُريدُ أَن أُحرمَ من المسجد من عند القبر ، قالَ لا تفعل ؛ فإنّي أَخشى عليكَ الفتنة ، قال :أَيُّ فتنَة في هذا ؟ إنما هي أَميالٌ أَزيدها ، قال : وأَيُّ فتنة أَعظمُ من أَن ترى أَنّك سبقتَ إلى فضيلة ، قصَّرَ عنها رسولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلّم ؟ إنّي سمعتُ اللّهَ تعالى يقول: ﴿فليحذرِ الذين يخالفونَ عن أَمره أن تُصيبَهم فتنة أَو يُصيبَهم عذابٌ أَليمٌ ﴾ .

من آثارِ المعصية كذلك : الإغراقُ بالماء ، قال تعالى حاكيًا عمّا فَعَلَ بقومِ نوحٍ : ﴿ ممّا خطيآتهم أُغرقوا فأُدخلوا ناراً فلم يَجدُوا لهم من دون اللّه أنصاراً ﴾ .

ومن الآثارِ أَيضًا : الدمارُ الشاملُ ، قال تَعالى :﴿ وإذا أَردنا أَن نهلكَ قريةً أَمَرنا مُتْرفيها فَفَسقوا فيها فحقَّ عليها القولُ فدمّرناها تدميراً ﴾ . وكتابُ اللّهِ مليءٌ بذكرِ هذه الآثارِ.

وأَمّا السنّة فهي أَيضًا كذلك ، وأَكتفي بذكرِ مثالين اثنين : الأَوّل احتوى على ذكرِ الصَّغارِ والذلّة ، فعن النبي صلى اللّه عليه وسلّم أنّه قال : « بُعثت بين يدي الساعة بالسيفِ ، حتّى يُعبدَ اللّهُ وحدَه لا شريك له ، وجعل رزقي تحتَ ظلِّ رمحي ، وجعلَ الذلُّ والصغارُ على من خالفَ أمري ، ومن تشبّه بقومٍ فهو منهم » . لقد كتبَ اللّهُ عزَّ

وجلَّ الذِّلَّة والصَّغارَ على مَنْ خالفَ أمرَ اللّه وأمْرَ رسول اللّه ، ومن أرادَ أن يعرفَ تفسيراً حقيقيًّا لهذا الحديث ؛ فعليه أن ينظر إلى أرضِ الواقع ؛ فإنّه يجدُ ما أخبَرَ به رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم ، فقد أصبَحَ المسلمونَ في هذهَ الأيَّام أذلاء، سَيطَرَ عليهم الأعداءُ، في سائرِ البقاع والأرجاء، وليس هذا فحسب ، فقد عملوا بهم تقتيلاً وتنكيلاً، علماً بأنَّ المسلمين ليسوا بقلّة ، ولكنّهم كما أخبَرَ عنهم رسولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلّم « غثاء كغثاءِ السيل » ، ويشهدُ لهذا الحديث الحديثُ الآخرُ ، وهو الحديث الثاني :

قال صلى اللّه عليه وسلّم : « إذا تبايعتم بالعينة ، وأخذْتُم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهادَ ، سَلَّط اللّهُ عليكُم ذلاً، لا يَنزعهُ عنكم ، حتّى تَرْجعوا إلى دينكم » .

والذلّ المذكورُ في هذا الحديث ، هو نَفسُ الذلِّ المذكورِ سابقاً ، وعلى كلِّ حال ؛ فالمسلمونَ في أيّامنا هذه، تفرّقوا ( أيديَ سبأ ) ، فأصبحوا ( عبابيد ) ، وتفرّقوا ( شماطيط ) ، ولا حولَ ولا قوّة إلاّ باللّه العليِّ العظيمِ .

أمَّا ما جاءَ في الآثار السّلفية : فقال ابن الجوزيّ في كتابه « تلبيس إبليس » ( ٢٢٧ ) :

« عن أبي عبد اللّه بن الجلاء قال : كنتُ أنظرُ إلى غلام نصرانيٍّ ،حسن الوجه ، فمرَّ بيَ أبو عبد اللّه البلخي ، فقال : إيشٍ وقوفك ؟ فقلت :يا عمُّ ! أما ترى هذه الصورة كيف تعذب بالنار ؟ فضرب بيده بين كتفي ، وقال : لتجدن غبَّها،ولو بعد حين ، قال : فوجدت غبَّها بعد أربعين سنة ، نسيت القرآن » .

وأخيراً ؛ ليعلم كل واحد فينا أن المعصية لا ينحصر أثرها في الذات ، بل إن أثرها يتعدى إلى الأبناء ، فتؤثر فيهم سلبًا ، كما أن الطاعة تؤثر في الأبناء إيجابًا ، وهذان الأمران مقرَّران في كتاب اللّه ، قال تعالى :﴿ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافًا

خافوا عليهم فليتقوا اللّه وليقولوا قولاً سديداً ﴾، هذا هو التأثير السلبي أمَّا الإيجابي ، فقوله تعالى: ﴿ وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك ﴾.

لقد حفظ اللّه الكنز للغلامين بسبب صلاح أبويهما ، فكانت ثمرة العمل الصالح واضحة جلية،يتعدّى أثرها إلى الأبناء .

وأخيراً ؛ليعلم كل واحد فينا أن المعصية تعرف في وجه العاصي وكلامه ، وما أسر فيه من سريرة إلا ألبسه اللّه رداءها ، إن خيراً فخير ، وإن شرًّا فشرٌّ، لذا قال تعالى لنبيه صلى اللّه عليه وسلّم : ﴿ ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهُم ولتعرفنهم في لحن القول واللّه يعلم أعمالكم ﴾

﴿ أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج اللّه أضغانهم ﴾.

وروي عَنْ أمير المؤمنين عُثمان ابن عفان رضي اللّه عنه أنه قال : « ما أسر أحد سريرة إلا أبداها اللّه على صفحات وجهه وفلتات لسانه » .

وقال بعض السلف :« واللّه إني لأعرف معصيتي في خلق امرأتي ، وحرن دابتي » .

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين .❑

❑❑❑❑❑

يا سائلي عن موضع التقليد خُذْ ... عنّي الجواب بفهم لبّ حاضرِ
وأصغِ إلى قولي ودِنْ بنصيحتي ... واحفظ عليَّ بوادري ونوادري
فإذا اقتديت فبالكتاب وسنة الـ ... مبعوث بالدين الحنيف الطّاهر
ثم الصحابة عند عَدْمِك سنةً ... فأُولاك أهلُ نهىً وأهل بصائر
وكذاك إجماع الذين يلونهم ... من تابعيهم كابراً عن كابر
إجماع أمتنا وقول نبينا ... مثل النصوص لدى الكتاب الزاهر
وإذا الخلاف أتى فدونك فاجتهد ... ومع الدَّليل فمِلْ بفهم وافر
وعلى الأصول فقسْ فروعك لا تقس ... فرعاً بفرعٍ كالجهول الحائر

# المطلب الرابع

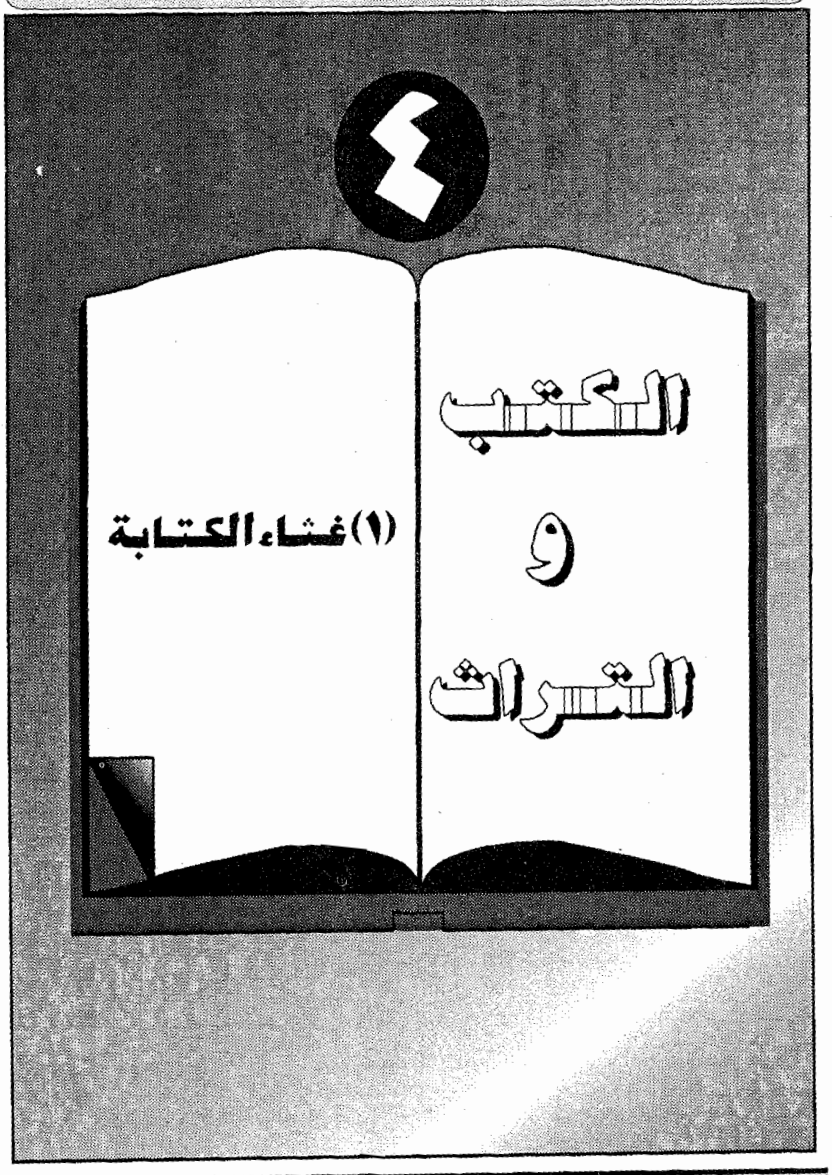

# غثاء الكتابة

يزيد حمزاوي

لا يشك أحد أن الكتابة – وبخاصة الإسلامية – هي من أنبل الأعمال الدينية، وأعظمها عند الله ، حيث إن تأليف الكتب – التي تبين وتعلم الإسلام – سنة حسنة سنها لنا سلفنا الصالح ،الذي انبرى بهذا العمل الشريف إلى حفظ دينِ الله ونشره بين الناس ، سواء في عصرهم أو في من جاء بعدهم ، لكن رغم ما للكتابة الدينية من شرف وسبق عند الله فما كان يجرؤ عليها من شاء ،ولا كتابة ما شاء ، ذلك أن التأليف النافع عقبة كؤود ، لا يقتحمها إلا من فاض زاده وقويت أركانه واتسعت مداركه .

فإلى جانب الكفاءة والقدرة على التأليف ، وضعوا مقاصد لذلك ، فذكروا منها :

شيئاً لم يسبق إليه فيؤلف ، أو شيئاً ألف ناقصًا يكمل ، أو خطأ فيصحح ، أو مشكلاً فيشرح ، أو مطولاً فيختصر ، أو متفرِّقًا فيجمع ، أو منثوراً فيرتب.

ألا فاعلمَنْ أن التآليف سبعةٌ ... لكلٍّ لبيب في النصيحة خالصِ
فَشَرْحٌ لإغلاق وتصحيح مخطىء ... وإبداع حبر مقدم غير ناكصِ
وترتيب منثور وجمع مفرَّق ... وتقصير تطويل وتتميم ناقصِ

فما بال صغار طلبة العلم اليوم ، الذين لم يشتد ساعدهم في العلم بعد ، ولم ينالوا منه حظّاً وافرًا ، بضاعتهم مزجاة ، وسِلْعتُهم كاسدةٌ فاسدة ، يظنون أنفسهم مؤلفين وكُتَّابًا ، ولم يعلموا أن التأليف أمانة ومسؤولية ، يسألون عنها يوم يكشف عن السرائر ، ولو نظروا إلى الواقع بعين بصيرة نافذة ، لوجدوا كتبهم في الأسواق في

زيادة دائمة ، لكن آثارها قليلة ، عديمة المنفعة ، زهيدة الفائدة ، لا لأن معلوماتها ضئيلة أو غير صائبة ، بل لأنها عديمة البركة ، فهي حروف جامدة ، وكلمات صامتة وجمل يابسة ، وفقرات جوفاء ميتة ، الكلام على صفحاتها كثير ، لكن العلم الرباني والنور النبوي بين غلافيها قليل ، ولَيْتَهم التزموا بمقاصد التأليف التي ذكرناها آنفًا ، بل إنهم يسارعون إلى التأليف والكتابة في مسائل قتلت بحثًا ، ومباحث صالت وجالت فيها أقلام الفطاحلة قديمًا وحديثًا ، فلا يكاد يمر يوم حتى تقذف فيه بطون دور النشر ،وأرحام المطابع بعشرات الكتب والرسائل ( الجديدة القديمة ) إلى الساحة أو بالأحرى إلى رفوف المكتبات ، الجديدة في ورقها وغلافها ، القديمة في محتواها ومعلوماتها .

وأضربُ على ذلك أمثلة ، فعلى قلّة اطلاعي ؛ وجدتُ أكثرَ من أربعين كتابًا ورسالةً عن الأذكار النَّبويَّة ، منها : « المأثورات » ، « حصن المسلم»، « الأذكار النبوية » ، « الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة » ، « النصيحة في الأذكار الصحيحة » ، « مختصره » ، « تحقيق عمل اليوم والليلة » ، « أذكار الصباح والمساء» ، « الكلم الطيب » ، « تحقيقه » ، و « الأذكار » للنوويّ و« تحقيقه» لعدّة محققين!! .. والقائمة طويلة جداً .

**المثال الثاني** : موضوع المرأة بصفة عامة ، وحجابها بصفة خاصة ، فعلى طاولتي الآن أزيدُ من عشرة كتب عن حجاب المرأة المسلمة لمؤلِّفين سَلفيينَ فقط ، دون غيرهم وقد اجتمعوا كلّهم على نفسِ المعلومات ، وهي الشروط السبعة للحجابِ الشرعيّ المعروفة، اللّهمّ إلا اختلافٌ واحد في قضيّة الوجه والكفين ، أما غير ذلك ، فالمعلومات هي هي ، بالفاصلة والنقطة أحياناً ، ولا داعي لذكر قائمة هذه الكتبِ كما فعلنا مع الأذكار .

**المثال الثالث** : موضوع الأسماء والصفات، وإثباتها على طريقة السلف الصالح ، فهناك عشرات التأليفات تؤلّف كلَّ سنة عن هذا الموضوع، علماً أنّها كلّها عالة ومنقولة من كتب السلف ، لا سيّما كتبِ شيخ الإسلامِ وتلميذه ابن القيّم، فمن أراد الخيرَ حقّاً للأُمّة ، فما عليه إلاّ أن يطبع وينشرَ كتب هذين الشيخين، فهي كافية ، ووافية ، وواضحة ، تُعلِّمُ الجاهل وتكشفُ زيف الضالين المضلّين ، من الفرق الضالة في العقيدة ، والمنحرفة في التوحيد ، فلا حاجة للتأليف في هذا الموضوع بعدها .

وأُحبُّ أن أَسردَ قصةً عن شيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه اللّه ،حيثُ أرسل إليه قاضي واسط يناشدهُ تأليف كتاب عن العقيدة السلفيّة الصحيحة ، بعدما انتشرت في العراق بدعة المعطلة و المؤولة ، فرفض شيخُ الإسلام الكتابةَ ، وردَّ على قاضي واسط بكلام ملخصُهُ :

إنَّ العقيدةَ السلفيّة الصحيحة ، موجودةٌ وواضحةٌ في كتب السَّلفِ الصالح ، فعليكم أن ترجعوا إليها ،فلا أرى فائدة من كتابة كتاب عن العقيدة ، وهي موجودة منذ قرونٍ ، فألحَّ قاضي واسط في طلبه مرّة ثانية ، لخطر أهل البدعة وعدم وجود من يرّد عليهم ، فاستجابَ شيخ الإسلام لطلبِه ، فألفَّ ما اشتهر بـ« العقيدةِ الواسطيّة » نسبةً إلى واسط .

فلم لا يأخذ كتّابُنا هذا الموقفَ عبرةً لهم ، فَيَدَعوا ( موضةَ ) التأليف في الأَذكار، والحجاب ، والأَسماءِ ، والصفات !! أَم أَنَّ هناك أُموراً أُخرى في خبايا الزوايا بين الكاسبين – عفواً – الكاتبين ، وأصحاب دور النشر ، نحن عنها غافلون !!؟

وأَتَذَكّر أَنّي منذ ثلاث سنوات استغربتُ من كلِّ هذه التأليفات ، وتعجبتُ ممن يقرؤها كلّها ، ودهشتُ كيف يجرؤ بعضُ من قرأ كتاباً أو كتابين في مصطلح الحديث على التحقيق والتخريج ، بل الاجتهاد في المعضلاتِ ، والفصل في الخلافيّات ، فسألتُ الشَّيخَ أَبا إسحاق الحويني – حفظه اللّه – عن ذلك ، فأَجابني باللّهجة المصريّة : « إنَّ الأَمرَ أَصبحَ أَكل عيش »، أي : كما نقول نحن في الجزائر: « الخُبزة » ، فقد بلغ السيل الزُّبى ، وأضحى الأَمرُ منكراً خبيثاً ، وانحرافاً عن جادّة المنهجِ ، وعقبة في طريق الدعوة ،فلا ينبغي السكوت عن هذا المنكر أَو التواطؤ عليه، ونتمنى أَن يكونَ الشّيخُ الحوينيّ مخطئاً في ظنّه ، مثل ما نتمنّى أَن لا يُصبح التأليف للكتب الدينيَّة نزوةً لإشباعِ شهوة حبِّ المالِ والشَّهرة ،يُبتغى للذّات ، لأَنَّ الأَصلَ في التأليفِ أَنّه وسيلة دعويّة تصبُّ مع الوسائلِ الأُخرى – التي فرَّطَ فيها إخواننا – في منبعٍ واحد ، وهو الدعوة إلى اللّه ، وتحقيق العبوديّة المطلقة للّه ، فلا يجوزُ بحالٍ من الأحوالِ ، أَن يصير هذا المقصدُ السّامي ، والهدف النَّبيلُ ، عبثاً علميّاً ، وترفاً فكريّاً ، بين أيدي النفعيين والوصوليين .

فهذا ما عندي ، فإنْ أَصبتُ فَمنَ اللّه ، وإنْ أَخطأتُ فمن نفسي ومن الشيطان .

وسبحانَك اللّهم ! وبحمدِك أَشهد أَن لا إله إلاّ أَنت ، أَستغفرك ، وأَتوبُ إليك .

❑❑❑❑❑

# المطلب الخامس

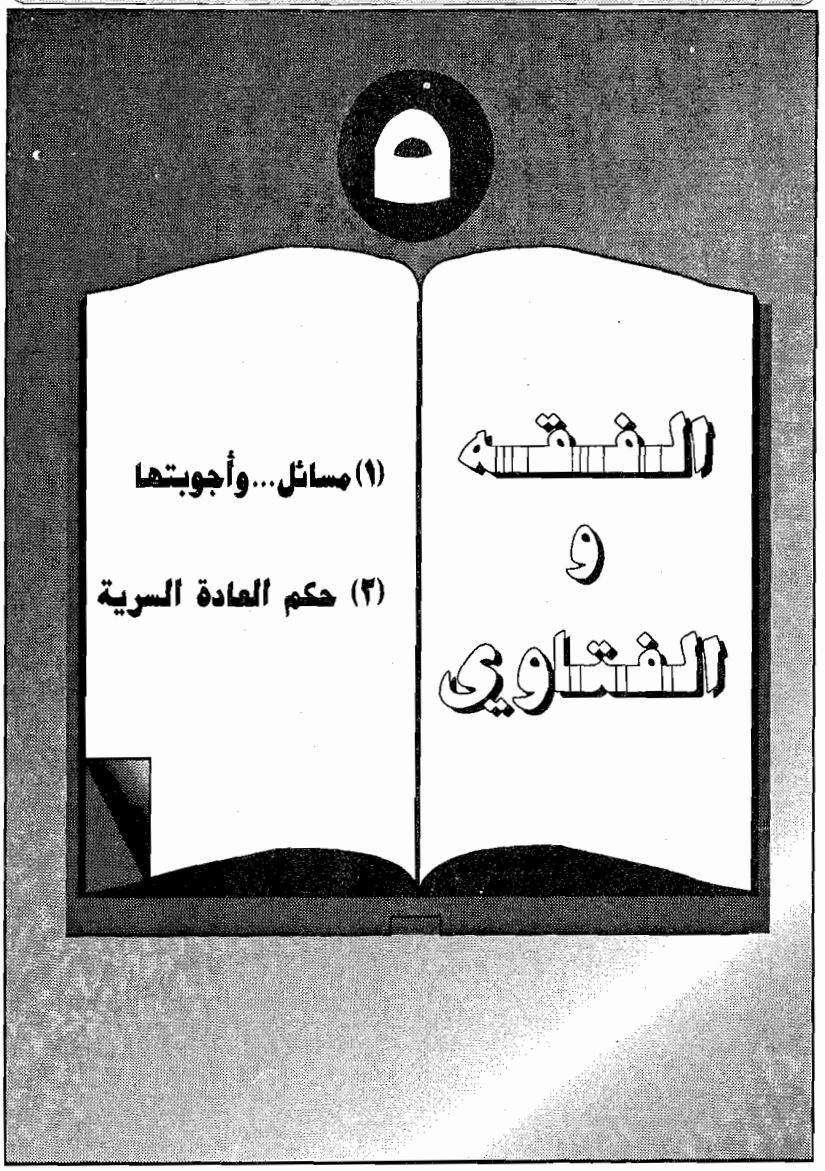

# مسائل . . . وأجوبتها

العلاّمة المحدِّث محمد ناصر الدين الألباني

**سؤال** : هل يجوزُ للمرأةِ أن تكون قاضيةً ؟

**الجواب** : لا يجوزُ للمرأةِ أن تكونَ قاضية ، ومن زعمَ أنَّ القضاءَ هو إخبار عن حكم شرعيٍّ فقد قَصَّر ؛ لأنَّ القضاء أكثر من الإفتاءِ؛ إذ ليس كلُّ من يفتي قاضياً وكذلك ليس كلُّ قاضٍ مفتياً ،وقد يجتمعان .

إنَّ القاضي كالحاكمِ مأمورٌ بتنفيذِ الإفتاءِ ، وأمّا المفتي فليس له سلطة تنفيذيّة .

وقد أخبر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أنَّ قوماً يولّون أمرهم امرأة لا يفلحون ، كما ثبت ذلك في «صحيح البخاريّ» من حديث أبي بكرة رضي اللّه عنه .

**سؤال** : هل التثويب في الفجر يكون في الأذان الأوّل أم الثاني ؟

**الجواب** : التثويب في الأذانِ الأوّل كما هو صريحٌ في حديث صحيح عند النّسائي وابن خزيمة ، وله شاهد من حديث ابن عمر رضي اللّه عنه أنَّ التثويب كان في الأذانِ الأوّل على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، هذا من حيثُ الرواية .

وهذه السنّة تؤكّدها الدراية ، والنظر في الحكمة من حيث هذه الجملةُ – أي : التثويب – فإنَّ الأذان الأوّل ليستيقظ النائم وليتسحّر الصائم كما ثبت عن الرّسول صلى اللّه عليه وسلم: «فكلوا واشربّوا حتّى يؤذّن ابن أُمِّ مكتوم » ، وكان رجلاً أعمى لا يؤذّنُ حتّى يقول له النّاس : أصبحتَ أصبحتَ ... فهنا يناسبُ أن يقول المؤذّن في الأذان الأوّل : «الصلاة خير من النوم » ؛ لأنّ بعض النّاس يكونونَ نائمين فيقال لهم : «الصلاة خير من النوم»، أمّا بعد أن يستيقظ النّاس ، ويتوافدوا على المساجد فما الحاجة لأن يقالَ لهم : «الصلاة خير من النوم» ؟! إنَّ النائمين صاروا مستيقظين ، ولذلك فإنَّ جعل التثويب في الأذانِ الثاني منافٍ للحكمةِ التشريعيّة لهذه الجملة .

وعلى هذا تلتقي الرواية والدراية معاً ، في بيان أنَّ جملة «الصلاة خير من النوم» إنّما هي في الأذان الأوّل ، دون الأذان الثاني.

لكن من المؤسف جداً أنْ نَرى النّاس في أيّامنا هذه على خلاف هذه السنّة ، فينبغي على دعاة السنّة توجيهُ النّاس وإرشادهم بالتي هي أحسن لكي يتهيأ الجوُّ لتقبُّلِ هذه السنّة ، كما كانت على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم .

**سؤال** : الكتاب المسمّى «معراج ابن عباس» هل تصحُّ نسبته لابن عباس ؟

**الجواب** : لا تصحُّ نسبةُ هذا الكتاب لعبد اللّه بن عباس رضي اللّه عنهما ، وقد تكلمتُ عن معراج ابن عباس في ردّي على الدكتور البوطي المنشور بعنوان : «دفاع عن الحديث النبويّ والسِّيرة».

**سؤال** : يتداولُ كثير من الشباب الإسلاميّ أشرطة عليها أناشيد تسمّى إسلاميّة ، فما هو الصوابُ في هذه المسألة ؟

**الجواب** : إذا خَلَتْ هذه الأناشيدُ من المعازف وآلات الطّرب فأقول مبدئيّاً : لا بأس بها بشرط أن تسلَم من المخالفات الشرعيّة كالاستغاثة بغير اللّه ، والتوسّل بالمخلوقين ، وكذلك لا يجوزُ اتخاذها ديْدَناً، لأنَّ ذلك يصرف الشباب المسلم عن تلاوة كتاب ربّهم وتدبّره ، والذي حضّ عليه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في أحاديث كثيرة صحيحة ، منها قوله : «من لم يتغنَّ بالقرآن فليس منّا» وقوله : «اقرأوا القرآن وتغنّوا به قبل أن يأتي أقوام يتعجّلونَه، ولا يتأجّلونه ، فتغنّوا به» .

ومن تأمَّل حالَ الصَّحابة – رضي اللّه عنهم – لم يجد في حياتهم مثل هذه الأناشيد ، فهم كانوا رجال حقائق ، وليسوا رجال تسلية .

**سؤال** : يقول الشاعر أبوالقاسم الشابي:

**إذا الشَّعبُ يوماً أرادَ الحياة**
**فلا بُدَّ أن يَسْتَجيبَ القَدر**

**الجواب** : هذا هوالكفر بعنيه ، وهو يدلُّ على أنَّ النّاس ابتعدوا عن العلم ، فلم يعرفوا ما يجوزُ وما لا يجوزُ للّه وحده ، وما لا يجوزُ لغيره ، وهذا من الغفلة وهي من الأسباب التي جعلت هذاالشاعر يقول ذلك، وأن تتبنّى ذلك بعض الإذاعات العربيّة نشيداً قوميًّا عربيًّا !

وهذا الشعر يقول : إذا الشّعب يوماً أرادَ الحَياة فلا بُدَّ أن يستجيبَ القدر ، يعني : أن القدر تحت مشيئة الشّعب ! وهذا عكس قول ربّ العالمين : ﴿ وما تشاؤون إلا أن يشاءَ اللّهُ ربُّ العالمين ﴾ ، اللّهم اهدنا فيمن هديت ، ولا تُزغْ قلوبَنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة، إنَّك أنتَ الوهّاب .❑

# حكم العادة السرية

للعلاّمة الشيخ عبد العزيز بن باز

الحمد للّه والصلاة والسلام على رسول اللّه وآله وصحبه ، أما بعد :

فقد كَثُرت الأسئلةُ عن حكمِ الاستمناءِ المُسمى بالعادة السرية .

**الجواب** : الاستمناء باليد محرم في أصح قولَي أهل العلم ، وهو قول جمهورِهم ،لعموم قوله تعالى : ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما مَلكت أيمانُهم فإنَّهم غيرُ مَلومين ﴾ (١) فأثنى سبحانه على من حفظ فرجه ، فلم يقضِ وطرَه إلاّ مع زوجته أو أَمَته، وحكم بأنَّ مَنْ قضى وطره فيما وراء ذلك – أيّاً كان – فهو عادٍ، متجاوزٌ لما أحلّه اللّهُ له ، ويدخل في عموم ذلك الاستمناء باليد ، كما نبَّه على ذلك الحافظُ ابن كثير وغيره ، ولأنَّ في استعماله مضارَّكثيرةً ، وله عواقبُ وخيمةٌ ، منها : إنهاك القُوى ، وضعفُ الأعصاب .

وقد جاءت الشّريعةُ الإسلاميَّةُ بمنع ما يضرُّ الإنسان ، في دينه ، وبدنه ، وماله وعرضه.

قال الموفَّقُ ابنُ قدامة رحمه اللّه في كتابه « المُغني » : « ولو استمنى بيده ، فقد فعل مُحَرَّماً » .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه تعالى في « مجموع الفتاوى » : « أمّا الاستمناءُ باليد ، فهو حرامٌ عند جمهور العلماء ، وهو أصحُّ القولين في مذهب أحمد ، ولذلك يُعَزَّرُ مَنْ فَعَلَهُ ، وفي القول الآخر هو مكروهٌ ، غيرُ محرَّمٍ ، وأكثرهم لا يبيحونه لخوف العنت ولا غيره »(٢) ا.هـ.

(١) [المؤمنون :٥ – ٦ ] .

(٢) « مجموع الفتاوى » ( ٣٤ / ٣٢٨ ) .

وقال العلامة محمد أمين الشنقيطي – رحمه الله – في تفسيره « أضواء البيان »[1] ما نصه : « المسألة الثالثة : اعلم أنّه لا شك في أنّ آية ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ هذه التي هي ﴿ فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ﴾ تدل بعمومها على منع الاستمناء باليد ، المعروف بجلْد عميرة ، ويقال لها : الخضخضة ، لأنَّ من تلذَّذ حتّى أنزل منيَّه بذلك قد ابتغى وراء ما أحَلَّه اللّه ، فهو من العادين بنصِّ هذه الآية الكريمة المذكورة هنا ، وفي سورة سأل سائل [ المعارج ] .

وقد ذكر ابن كثير أنَّ الشّافعيَّ ، ومن تبعه ، استدلّوا بهذه الآية على منع الاستمناء باليد .

وقال القرطبيّ : قال محمد بن عبد الحكم : سمعتُ حرملةَ بن عبد العزيز قال: سألتُ مالكاً عن الرَّجُل يجلد عميرة ؟ فتلا هذه الآية : ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون ﴾ إلى قوله : ﴿ العادون ﴾ قال مقيِّده – عفا اللّه عنه وغفر له – [الشنقيطي] – : الذي يظهر لي أن استدلال مالك ، والشافعي ، وغيرهما من أهل العلم بهذه الآية الكريمة على منع جلْد عميرة – الذي هو الاستمناء باليد – استدلالٌ صحيح بكتاب اللّه ، يدلُّ عليه ظاهر القرآن .

ولم يَرد شيء يعارضه من كتابٍ ولا سُنَّةٍ ، وما روي عن الإمام أحمد – مع علمه ، وجلالته ، وورعه – من إباحة جلْد عميرة ، مستدلا على ذلك بالقياس قائلاً : هو إخراج فضلة من البدن ، تدعو على الفصد والحجامة ، كما قال في ذلك بعضُ الشُّعراء:

**إذا حَلَلْتَ بوادٍ لا أنيسَ به**
**فاجْلد عميرةَ لا عارٌ ولاحَرَجُ**

فهو خلافُ الصَّواب ، وإنْ كان قائلُه في المنزلة المعروفة التي هو بها ، لأنّه قياسٌ يخالف ظاهرَ عمومِ القرآن والقياسُ إنْ كان كذلك رُدَّ بالقادح ، المسمى « فساد الاعتبار » كما أوضحناه في هذا الكتاب المبارك مراراً ، وذكرنا فيه قول صاحب « مراقي السعود »:

**والخُلْفُ للنَّص أو اجْماعٍ دعا**
**فساد الاعتبار كلٌّ من وعى**

(١) « أضواء البيان » ( ٥ / ٧٦٩ ) .

فاللّه جلَّ وعلا قال : ﴿ والَّذين هم لِفُروجهم حافظون ﴾ ، ولم يستَثْنِ في ذلك ألبتة ، إلاَّ النَّوعين المذكورين في قوله تعالى : ﴿ إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ﴾ وصرح برفع الملامة في عدم حفظ الفرج عن الزوجة والمملوكة فقط ، ثم جاء بصيغة عامة شاملة لغير النوعين المذكورين، دالّة على المنع ، هي قوله : ﴿ فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ﴾ ، وهذا العموم لا شكَّ أنه يتناول بظاهره ناكح يده ، وظاهر عموم القرآن لا يجوز العدول عنه إلا لدليل ، من كتاب ، أو سنّة ، يجبُ الرُّجوع إليه ، أما القياسُ المخالف له ؛ فهو فاسدُ الاعتبارِ كما أوضحنا ، والعلم عند اللّه تعالى » ا هـ .

وقال أبو الفضل عبد اللّه بن محمد بن الصِّدّيق الحسني الإدريسي في كتابه «الاستقصاء لأدلة تحريم الاستمناء » أو« العادة السرية من النّاحيتين الدينية والصحية » ما نصه: « الباب الأول في تحريم الاستمناء ،و بيان دليله : ذهب المالكية ، والشافعية، والحنفية وجمهور العلماء إلى أنَّ الاستمناءَ حرامٌ ، وهذا هو المذهب الصَّحيحُ ، الذي لا يجوز القول بغيره ، وعليه أدلةٌ كما يتبين بحول اللّه تعالى :

**الدليل الأول** : قول اللّه تعالى: ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانُهم فإنَّهم غيرُ مَلومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ﴾ وجه الدِّلالة من هذه الآية الكريمة ظاهرٌ ، فَإنَّ اللّهَ تعالى مدح المؤمنين بحفظهم لفروجهم ، مما حرَّم عليهم ، وأخبر برفع الحرج واللوم عنهم في قُربانهم لأزواجهم ، وإمائهم المملوكات لهم مستثنياً ذلك من عموم حفظ الفرج، الذي مدحهم به ، ثم عقَّب بقوله تعالى : ﴿ فمن ابتغى ﴾ أي : طلب ﴿ وراء ذلك ﴾ أي : سوى ذلك المذكور ، من الأزواج والإماء ، ﴿ فأولئك هم العادون ﴾ أي : الظالمون ، المتجاوزون الحلالَ إلى الحرام ، لأنَّ العادي هو الذي يتجاوزُ الحدَّ ، ومتجاوزُ ما حدّه اللّه ظالمٌ ، بدليل قوله تعالى ﴿ ومن يتعدّ حدود اللّه فأولئك هم الظالمون ﴾[1]،

(١) [ البقرة : ٢٢٩ ] .

فكانت هذه الآيةُ عامَّةً في تحريم ما عدا صنفي الأزواج والإماء ، ولا شكَّ أن الاستمناءَ غيرُهما ، فهو حرام، ومُبْتغيه فهو ظالم بنصِّ القرآن » ثم استرسل في ذكر الأدلة . . .

إلى أن قال :

« **الدليل السادس** : ثبت في علم الطِّب أنَّ الاستمناء يورث عدة أمراض ، منها :

أنه يُضعفُ البصرَ ، ويقلِّل من حدَّته المعتادة ، إلى حدٍّ بعيد .

ومنها : أنَّه يضعفُ عضوَ التَّناسل ويحدث فيه ارتخاءً جزئيّاً أو كليّاً، بحيث يصبح فاعلُه أشبه بالمرأة ، لفَقْده أهمَّ مميزات الرُّجولة التي فضَّل اللّه بها الرجلّ على المرأة ، فهو لا يستطيع الزّواجَ ، وإنْ فُرض أنه تزوَّج فلا يستطيع إعفافَها ، وفي ذلك مفاسد لا تخفى .

ومنها : أنه يورث ضعفاً في الأعصاب عامة ، نتيجة الإجهاد الذي يحصل من تلك العملية .

ومنها : أنه يورثُ اضطراباً في آلة الهضم ، فيضعف عملها ، ويختل نظامها .

ومنها : أنه يوقف نمو الأعضاء ، خصوصًا الإحليل والخصيتين ، فلا تصل إلى حدّ نموها الطبيعي .

ومنها : أنه يورثُ التهاباً منويّاً في الخصيتين ، فيصير صاحبه سريع الإنزال إلى حدٍّ بعيد ، بحيث يُنزِل بمجرد احتكاك شيء بذَكَره أقل احتكاك .

ومنها : أنه يورثُ ألماً في فقار الظهر ، وهو الصُّلب الذي يخرج منه المنيّ ، وينشأ عن هذا الألم تقويس الظهْر وانحناؤه .

ومنها : أنه يُحل ماء فاعله ، فبعد أن يكون منيُّه غليظاً ثخيناً ، كما هو المعتاد في منيّ الرّجل ، يصير بهذه العملية رقيقاً خالياً من الدودات المنوية ، وربما تبقى فيه دويدات ضئيلة ، لا تقوى على التلقيح ، فيتكوَّن منها جنينٌ ضعيفٌ ولهذا نجد ولد المستمني – إنْ وُلد له– ضعيفاً بادي الأمراض ، ليس كغيره من الأولاد الذين تولَّدوا من منيٍّ طبيعي .

ومنها : أنه يورث رعشة في بعض الأعضاء كالرِّجلين .

ومنها : أنه يورث ضعفاً في الغُدد المُخِّية ، فتضعف القوَّة المدركة، ويقلّ فهمُ فاعله بعد أن يكون ذكياً ، وربما يبلغ ضَعْفُ الغدد المُخِّيَّة إلى حدٍّ يصل معه خبلٌ في العقل » ا.هـ.

وبذلك يتّضحُ للقراءِ تحريمُ الاستمناء بغير شكّ ، للأدلة والمضار التي سبق ذكرها ، ويلحق بذلك استخراجه بما يصنع على هيئة الفرج من القطن ، ونحوه ، واللّه وليُّ التَّوفيق ، وصلى اللّه وسلّم على نبينا محمد ، وآله ، وصحبه . ❑

❑❑❑❑❑

◀قال محمد بن صُبيح ابنُ السَّماك : علمتُ أن اليهود لا يَسُبُّون أصحاب موسى عليه السلام ، وأنَّ النصارى لا يَسُبُّون أصحاب عيسى عليه السلام ، فما بالك يا جاهلُ سَبَبْتَ أصحابَ محمد صلى الله عليه وسلّم ، وقد علمتَ من أين أتيت ، لم يَشْغَلْك ذنبُك ، أَمَا لو شَغَلَكَ ذنبُك لخفت ربَّك ، لقد كان في ذنبك شُغُلٌ عن المسيئين ، فكيف لم يَشْغَلْك عن المحسنين ، أَمَا لو كنتَ من المحسنين لَمَا تناولت المسيئين ، ولرجوتَ لهم أرحم الراحمين ، ولكنك من المسيئين ، فمن ثَمَّ عِبْتَ الشهداء والصالحين ، أَيُّها العائبُ لأصحاب محمد صلى اللّه عليه وسلّم لو نِمْتَ لَيْلَك وأفطرت نهارك لكان خيراً لك من قيام ليلِك وصومِ نهارك مع سُوء قولك في أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم فويحك ! لا قيامَ ليلٍ ولا صومَ نهارٍ وأنت تتناول الأخيار ، فأبْشرْ بما ليس فيه البشرى إن لم تتب مما تسمع وترى ، ويحك ! شرُّ الخلف خَلَفٌ شَتَم السَّلفَ ، واللّهِ لَوَاحدٌ من السَّلفِ خيرٌ من ألفٍ من الْخَلَف .

« الجليس الصالح » ( ٢ / ٣٩٢ ) .

# المطلب السادس

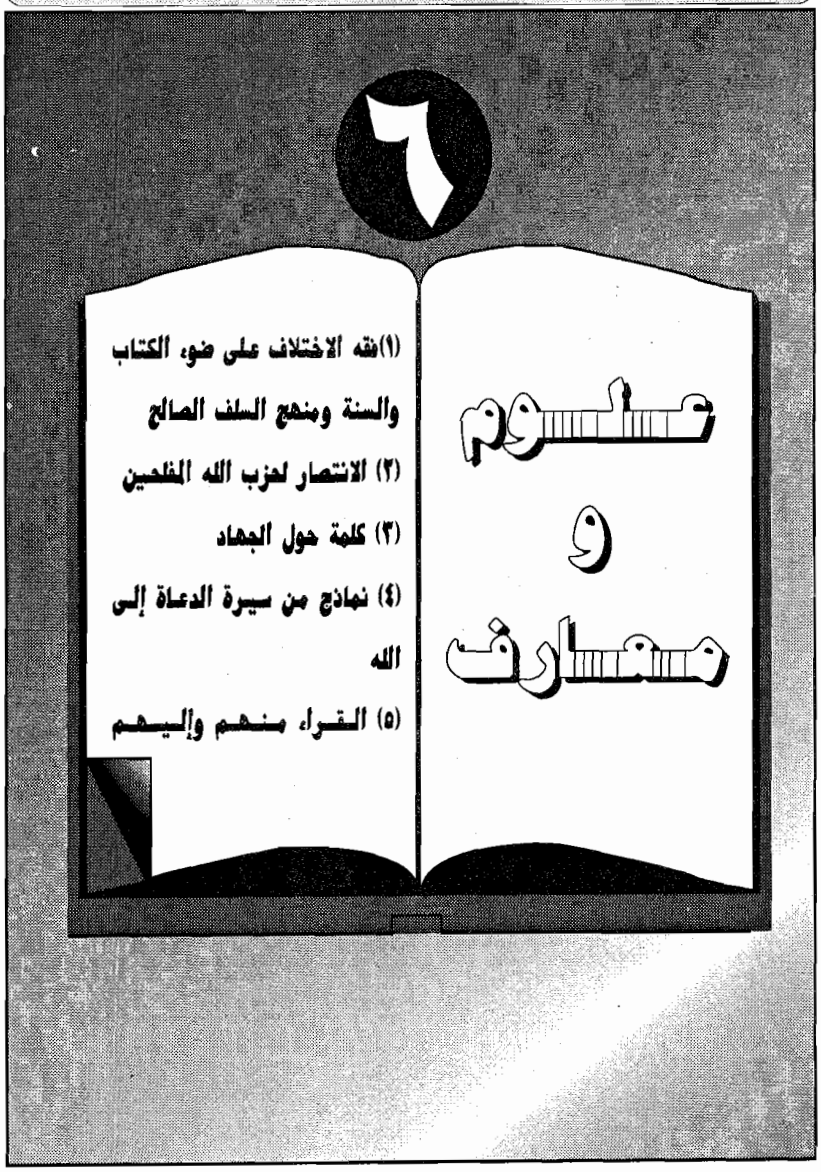

# فقه الاختلاف

## على ضوء الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح

سالم بن صالح المرفدي

للاختلاف في اللغة معانٍ متقاربة منها: عدم الاتفاق على الشيء، وعدم التساوي، تقول: خالفته مخالفة وخلافاً، وتخالف القوم، واختلفوا، إذا ذهب كلُّ واحدٍ إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر (١) فالاختلاف إذاً؛ هو أن يَسْلُكَ فردٌ أو مجموعةٌ طريقاً أو رأياً أو منهجاً مخالفاً لغيرهم.

**قواعد ثابتة لفقه الاختلاف:**

وهذه القواعد لا بد من بيانها، لفهم طبيعة الاختلاف في هذه الأمة، فأُولى هذه القواعد:

**١- الاختلاف أمر كوني، والنهي عنه أمر شرعي:**

قدّر الله تعالى بحكمته البالغة، ومشيئته النافذة، أنْ تفترق هذه الأمة كما افترق أهل الكتاب من قبلهم، قال تعالى: ﴿ ولو شاءَ ربُّك لجعَل النَّاس أُمةً واحدةً ولا يَزالونَ مختلفين. إلاّ مَن رَحِم ربُّك ولذلك خلقهم... ﴾، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «افترقت اليهودُ على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفرَّقت النَّصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة».

أخرجه الترمذي وأبو داود وأحمد وغيرهم.

وفي رواية: «كلُّهم في النّار إلا ملّة واحدة، قالوا: ومن هي يارسول الله! قال: ما أنا عليه وأصحابي».

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لتتبعنَّ سنن من كان

(١) انظر «المصباح المنير» للفيومي (ج١/ ١٧٩).

قبلكم شبراً بشبرٍ، وذراعاً بذراعٍ، حتّى لو دخلوا جحرَ ضَبٍّ، لدخلتموه، قالوا : يا رسول اللّه ! اليهود والنصارى ؟ قال :فمن؟!»(١) أخرجه البخاري ومسلم.

ورغم وقوع هذا الافتراق حسب سنة اللّه الكونيَّة، إلاّ أن اللّه تعالى قد نهى عنه في كتابه، وسنة نبيّه، وأمر بالتزام طريق الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، وجعل لها علامات لايضل عنها من أخلص قلبه في طلب الحق، وحديث الافتراق شكَّكَ في صحته البعض ولكن الناظر المتبصر في طرق رواياته يجزم بصحَّته، خصوصاً وأنَّ هناك أحاديث صحيحة مستفيضة في تشبّه هذه الأمة بمن قبلها ومن أبرزها ظاهرة الافتراق عن المنهج الحق، وقد نهى اللّه تعالى عن هذا التشبُّه بقوله: ﴿ ولا تكونوا كالذين تفَرَّقوا واختلفوا مِنْ بعد ما جاءهمُ البيّناتُ وأولئك لهم عذابٌ عظيمٌ ﴾(٢)

قال الحافظ ابن كثير – رحمه اللّه – : « ينهى اللّه تبارك وتعالى هذه الأمَّةَ أن يكونوا كالأمم الماضينَ ؛ في افتراقهم ، واختلافهم ، وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مع قيام الحجّة عليهم »(٣) .

وقال سبحانه : ﴿ ولا تكونوا من المشركين من الّذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعاً كُلُّ حزبٍ بما لديهم فَرِحون ﴾(٤) .

قال الشيخ السعدي رحمه اللّه: « مع أنَّ الدّينَ واحدٌ، وهو إخلاص العبادة للّه وحده، وهؤلاء المشركون فرقوه، منهم مَن يعبد الأوثانَ والأصنام.

ومنهم من يعبد الشمس والقمر، ومنهم من يعبد الأولياء والصالحين، ومنهم يهود، ومنهم نصارى، ولهذا قال: ﴿ وكانوا شيعاً ﴾ أي :كلُّ فرقة تحزَّبتْ وتعصَّبت على نصر ما معها من الباطل، ومنابذة غيرهم، ومحاربتهم ﴿ كل حزب بما لديهم ﴾

(١) وجه الدلالة من هذا الحديث أنه كما افترقت اليهود والنصارى فيما بينهم، فكذلك هذه الأمة ستفترق فيما بينها.

(٢) [ آل عمران: ١٠٥ ].

(٣) « تفسير القرآن العظيم »( ١ / ٣٩٠ ).

(٤) [ الروم: ٢٣ ].

من العلوم المخالفة لعلوم الرسل ﴿ فرحون ﴾ به يحكمون لأنفسهم بأنه الحقُّ وأنَّ غيرهم على باطل، وفي هذا تحذيرٌ للمسلمين من تشتتهم وتفرقهم فرقاً، كل فريق يتعصَّبُ لما معه من حقٍّ وباطل، فيكونون مشابهين بذلك للمشركين في التفرُّق، بل الدين واحدٌ، والرسولُ واحدٌ و الإله واحد، وأكثر الأمور الدينية وقع فيها الإجماع بين العلماء والأئمة، والأخوة الإيمانية قد عقدها اللّه وربطها أتمَّ ربط، فما بال ذلك كله يُلْغَى؟! ويُبنى التفرق، والشقاق بين المسلمين، و على مسائل خفية، أو فروع خلافية، يضلل فيها بعضهم بعضاً، ويتميَّز بها بعضهم على بعض، فهل هذا إلا من أكبر نزغات الشيطان، وأعظم مقاصده التي كاد بها المسلمين» . [(١)]

**٢-ليس كل اختلاف افْتراقًا :**

وذلك أن الاختلافَ لفظ عام يندرج فيه أنواع، منها الافتراق كما سيأتي معنا ، و الافتراق لغة :من المفارقة، وهي المباينة، والمفاصلة،

وفي اصطلاح العلماء، هو: الخروجُ عن السنّة والجماعة في أصلٍ من أُصول الدين الكلية، سواء العقديّة، أو العمليّة.

ومن الأسف أنَّ بعض طلبة العلم يرتبون على بعض مسائل الاختلاف الجائز الافتراق، وهذا خطأٌ فاحشٌ،والذي أوقعهم في هذا: أنهم جهلوا أصول الافتراق، ومتى، وكيف يكون؟ وكذلك عدم العلم بما يسع فيه الاختلاف، وما لا يسع، ويتضح الفرق بين الاختلاف السائغ والافتراق بما يلي :

أ- أن الافتراق لا يكون إلا في أصول كبرى كليَّة، لا يسع فيها الاختلاف ، ثبتت بنصٍّ قاطع، أو بإجماعٍ، أو استقرت منهجاً علمياً لأهل السنّة والجماعة، لا يختلفون عليه، وعلى ذلك فلا يجوز أن يوصم المسلم بأنه من الفرق الهالكة، إلا إذا كان ابتداعُه في الأمور التالية:

معنى كلّي في الدين، أو قاعدة من قواعد الشَّريعة، أو أصل من الشرع عامّ، أو الجزئيات الكثيرة،

---

( ١ ) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»( ٦ / ١٢٨ ) .

بحيث تعود على كثيرٍ من الشَّريعة بالمعارضة، وقد سُئل شيخ الإسلام عن حدِّ البدعة التي يعدُّ بها الرَّجلُ من أهل الأهواء؟ فأجاب : « والبدعة التي يعد بها الرَّجل من أهل الأهواء ما اشتهر عند أهل العلم بالسنّة مخالفتها للكتاب وللسنّة، كبدعة الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة . . . » (١) .

ب- أن الاختلاف السّائغَ يكون عن اجتهاد وحسن نية، ويؤجَرُ عليه المخطىء إذا كان مُتحرّياً للحقِّ، باحثاً عنه، بينما الافتراق لا يكون عن بذل الجهد في طلب الحق، وحسن النية، وإنما عن اتباع للهوى.

ج- أن الافتراق يتعلَّق به الوعيد، وكلُّه شذوذٌ وهلكة، أما الاختلاف السّائغ فليس كذلك، مهما بلغ هذا الاختلاف بين المسلمين (٢) .

**٣- الحق واحد لا يتعدد :**

سواء في الأمور العمليَّة، وهذا من البَدَهيّات، وذهب بعضهم (٣) إلى أن كل مجتهد مصيب(٤) ، وهو قول متهافت، وفي بيانه غنى عن تكلُّف بطلانه، ومع ذلك نورد بعضَ الأدلة على بطلانه، وهي كثيرة، منها قوله تعالى : ﴿ ولو كان من عند غير اللّه لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ (٥) ودلالة الآية واضحة.

فكل ما كان فيه اختلاف تضاد، فالحق فيه واحد، لأن ما كان من عند اللّه تعالى لا يوجد فيه اختلاف، والعقل الصحيح يوافق النقل الصريح في إنكاره : « أن يقال لزيد : إن فعلت هذا الفعل فأنت مأجور عليه، وفي الجنة ، وأنت آثم عليه، وفي النار، في وقت واحد ، ولا أن يكون بفعل واحدعاصياً للّه عز وجل بذلك

---

(١) « مجموع الفتاوى » ( ٣٥/ ٤١٤ ).

(٢) وقد بين الفرق بينهما الشيخ الفاضل ناصر العقل في محاضرته القيمة « مفهوم الافتراق » ثم طبعت في كتاب.

(٣) منهم قطب الصوفية الشعراني في كتابه « الميزان » !

(٤) ولكن أطلق بعض العلماء كلمة ( مصيب ) على من كان له أجر في اجتهاده وإن أخطأ، والصواب أن يُقال : لكلّ مجتهد نصيب .

(٥) [ النساء :٨٢].

الفعل مطيعاً له في وقت واحد »[1]

هذه هي أهم القواعد الثابتة، التي تُعَدُّ مدخلاً لفقه الاختلاف.

**أقسام الاختلاف:**

استقرأ العلماء الأدلة الواردة في موضوع الاختلاف، فتبين أنه على قسمين، وكل قسم يندرج تحته أنواع:

**فالقسم الأول: اختلاف مذموم:**

وهذه هي أنواعه:

١- ما يذم فيه كلا الطائفتين المتنازعتين، كقوله تعالى في اختلاف النصارى: ﴿ فأغرينا بينهم العداوةَ والبغضاءَ إلى يوم القيامة ﴾ [المائدة:١٤]، وفي وصف اختلاف اليهود: ﴿ وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها اللّه ﴾ [المائدة:٦٤] وكذلك اختلاف أهل الأهواء والبدع، فيما بينهم، قال تعالى: ﴿ إنّ الذين فرّقوا دينَهم وكانَوا شِيعاً لستَ منهم في شيء ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وأيضاً ما يقع فيه التنازع بين المسلمين في اختلاف التنوع، وجحد كل طائفة ما عند الأُخرى من الحق.

٢- ما يذم فيه إحدى الطّائفتين، وتحمد الأخرى، ويسمى: اختلاف تضاد، وهو: أن يكون أحدُ القولين حقّاً والآخر باطلاً، قال تعالى: ﴿ ...ولكن اختلفوا فمنهم مَنْ آمن ومنهم من كفر ولو شاء اللّه ما اقْتَتَلُوا ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وهذا مباينة عن الحق بالكفر، وأما المباينة عن الحق بالبدعة، فهو في حديث الافتراق المشهور، فعن النبي صلّى اللّه عليه وسلّم قال: « افترفت اليهودُ على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النّصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، قيل: من هي يارسول اللّه؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي ».

---

(١) انظر مبحثًا جيدًا لهذه القاعدة في كتاب « الإحكام في أصول الأحكام » لابن حزم ( ٥/٦٨ )، و « جامع بيان العلم وفضله »: ( باب ذكر الدليل في أقوال السلف على أنّ الاختلاف خطأ وصواب ) للحافظ ابن عبد البر.

وفي بعض الروايات :« هي الجماعة »[1] .

فأوضح الرسولُ صلّى اللّه عليه وسلّم أنّ هذه الفرقَ كلَّها هالكةٌ، إلا من كان على منهج السلف الصالح، قال الإمام الشاطبي « إن قوله عليه الصلاة والسلام :« إلا واحدة » قد أعطى بنصِّه أنَّ الحقَّ واحدٌ لا يختلف، إذ لو كان للحقّ فرق أيضًا؛ لم يقلْ : « إلا واحدة » ، ولأنَّ الاختلاف منفيّ عن الشريعة بإطلاق، لأنها الحاكمة بين المتخالِفَيْن؛ لقوله تعالى :﴿ فإن تنازعتم في شيء فَردُّوه إلى اللّه والرَّسُولِ ﴾ »[2].

فهذه أنواع الاختلاف التي ذمَّها الكتاب والسنة.

**القسم الثاني : اختلاف جائز :**

وهو على نوعين :

**فالنوع الأول** : اختلاف المجتهدين فيما يسوغ فيه الاجتهاد، فإن من رحمة اللّه تعالى بهذه الأمة : أنْ جعل أمر دينها يُسراً، ليس فيه عسر، وبعث نَبيَّنا محمداً ﷺ بالحنيفية السمحة، فقال سبحانه : ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ [الحج:٧٨] ومن هذه الرحمة عدم تأثيم المجتهد المخطىء، بل حصوله على الأجر لجهده في طلب حكم اللّه تعالى، قال اللّه تعالى : ﴿ وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ﴾ [الأحزاب:٥]. وعن عمرو بن العاص رضي اللّه عنه قال: قال: رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم: « إذا حكم الحاكم فاجتهد، فأصاب، فله أجران،وإذا حكم فاجتهد فأخطأ، فله، أجر واحد ». رواه البخاري.

وإيضاحاً لما مضى، أقول: قسَّم كثيرٌ من العلماء مسائل الدين إلى أصول كلية وفروع جزئية، ومسائل الأصول ومسائل الاجتهاد[3]، وسواء في المسائل العلمية أو العملية، وعلى هذا جرى شيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام الشاطبي-- رحمهما اللّه تعالى --، قال شيخ الإسلام :

(١) انظر « السلسلة الصحيحة » (٢٠٤) لشيخنا محمد ناصر الدين الألباني.

(٢) « الاعتصام » (٢/٢٤٩)

(٣) ولا نقول كما يقول الذين لا يعلمون : إن الدِّينَ لبابٌ وقشور! فإنَّ هذا سوء أدبٍ مع اللّه تعالى، بل الدِّينُ كله لبابٌ، أصولهُ وفروعُه.

« ...بل الحقُّ أن الجليل من كل واحد من الصنفين مسائل أصول، والدقيق مسائل فروع »[1] ، وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة قولهم: « لأهل السنة والجماعة أصول ثابتة بالأدلة ، يبنون عليها الفروع، ويرجعون إليها في الاستدلال على المسائل الجزئية، وفي تطبيق الأحكام على أنفسهم، وعلى غيرهم »[2] .

ومن ذلك يتبيَّن لنا: أن المسائل التي يسوغ فيها الاجتهاد، هي في الدقيق من المسائل العلمية والعملية، أما مسائل الأصول فلا يجوز فيها الاجتهاد، ومن أمثلة الجليل في الخبريات :إفراد اللّه تعالى بما يستحقه، ووجود الملائكة، والجن، والبعث، وعذاب القبر، والصِّراط، ونحو ذلك من القضايا الظاهرة التي تسمى بالأصول، وأما الفروع في الخبريَّات، فهو كل دقيق، مثل: رؤية النبي صلى اللّه عليه وسلّم لربه، وسماع الموتى في قبورهم لكلام الأحياء، ووصول ثواب الأعمال -غير الدعاء - للميت بعد موته، وأمثال ذلك، قال شيخ الإسلام :« ولهذا كان أئمة الإسلام متفقين على تبديع من خالف في مثل هذه الأصول، بخلاف من نازع في مسائل الاجتهاد، التي لم تبلغ هذا المبلغ في تواتر السنن عنه، كالتَّنازُعِ بينهم في الحكم بشاهد ويمين، وفي القسامة ، والقرعة، وغير ذلك من الأمور التي لم تبلغ هذا المبلغ »[3] .

ومع ذلك، فإن الأمر ليس على إطلاقه بحيث يبتدعُ من يشاء بحجة الاجتهاد السائغ ، لذلك كان هناك ضوابط لهذا الاجتهاد، وهي:

١- أن لا يكون على المسألة دليل قطعي الثبوت والدلالة، إذ لا يجوز الاجتهاد في معرض النص، وأضرب لذلك مثلاً بقوله تعالى: ﴿ فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة

(١) « مجموع الفتاوى » (٦/٥٦).
(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع أحمد الدويش( ٢/١٥٤).
(٣) « مجموع الفتاوي » (٤/٤٢٥).

كاملة﴾ [البقرة:١٩٦] فهذه الآية دليل قطعي الثبوت لأنها من القرآن الكريم، وقطعية الدلالة في وجوب صيام عشرة أيام لمن لم يجد الهدي، وهو متمتع.

٢- أن يكون الدليل على المسألة مِمَّا يَحْتَمِلُ أوجهًا، مثاله في ظني الثبوت، ما ذهب إليه بعض علماء أهل السنة من استحباب تحريك السبابة في التشهد، بينما ذهب البعض الآخر من العلماء إلى أن زيادة التحريك في الحديث شاذة! ومثاله في ظني الدلالة قوله تعالى: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهنَّ ثلاثة قروء﴾ [البقرة:٢٢٨]، فذهب بعض العلماء إلى أنَّ المراد بالقرء هو الطهر، بينما فهم الآخرون أن المراد هو الحيض، ولكلا القولين وجهٌ في اللغة.

٣- أن لا يكون الاجتهاد في مسألةٍ من مسائل الإجماع، أو ما استقر منهجاً علميّاً لأهل السنة والجماعة.

٤- أن يصدر الحكمُ على المسألة من مجتهدٍ استكمل شروط الاجتهاد، كما بيَّنها العلماءُ في مُصنَّفاتهم في أصول الفقه.

٥- أن يكون الاستنباط قائماً على منهاج أهل السنة في النظر والاستدلال، ومن ذلك: أن يكون له سلف فيما ذهب إليه من اجتهاد من علماء هذه الأمة، الذين شُهِد لهم بالإمامة في الدين.

قال الحافظ ابن رجب في كتابه القيم «فضل علم السلف على الخلف»: «فأما الأئمة وفقهاء أهل الحديث، فإنهم يتّبعون الحديثَ الصحيح حيث كان، إذا كان معمولاً به عند الصحابة، ومن بعدهم، أو عند طائفة منهم، فأما ما اتفق السَّلفُ على تركه، فلا يجوز العمل به، قال عمر بن عبد العزيز: خذوا من الرأي ما يوافق من كان قبلكم، فإنهم كانوا أعلم منكم»(١).

تبَّين مما سبق النَّوعُ الأول من أنواع الاختلاف السائغ.

أما النوع الثاني، فهو اختلاف التنوع:

ومثاله: ما حدث بين الصَّحابة في

(١) «ثلاث رسائل للحافظ ابن رجب» (ص ١٤٠- تحقيق محمد العجمي).

القراءات على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم، فعن عبداللّه بن مسعود قال:

سمعت رجلاً قرأ آية سمعتُ النبي صلى اللّه عليه وسلّم يقرأ خلافها، فأخذت بيده، فانطلقت به إلى النبي صلى اللّه عليه وسلّم، فذكرتُ ذلك له، فعرفتُ في وجهه الكراهيةَ، وقال: «كلاكما محسن، ولاتختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا».

وأفضل من كتب عنه من العلماء وفصَّله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه حيث يقول: «واختلاف التنوُّع على وجوه: منه ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقّاً مشروعاً، كما في القراءات، التي اختلف فيها الصحابة حتّى زجرهم عن الاختلاف رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم، وقال: «كلاكما محسن»، ومثله اختلاف الأنواع في صفة الأذان والإقامة، والاستفتاح، والتشهدات، وصلاة الخوف، وتكبيرات العيد، وتكبيرات الجنازة، إلى غير ذلك مما قد شُرع جميعه، وإنْ كان قد يقال: إنَّ بعض أنواعه أفضل، ثم نجد لكثير من الأُمّة في ذلك من الاختلاف ما أوجب اقتتال طوائف منهم على شفع الإقامة، وإيتارها، ونحو ذلك! وهذا عين المحرم، ومن لم يبلغ هذا المبلغ، فتجد كثيراً منهم في قلبه من الهوى لأحد هذه الأنواع والإعراض عن الآخر، أو النهي عنه ما دخل به فيما نهى عنه النبي صلى اللّه عليه وسلّم، ومنه ما يكون كل من القولين، هو في معنى القول الآخر، لكن العبارتان مختلفتان كما قد يختلف كثيٌر من الناس في ألفاظ الحدود، وصيغ الأدلة، والتعبير عن المسمَّيات، وتقسيم الأحكام، وغير ذلك، ثم الجهل، أو الظلم، يحمل على حَمْد إحدى المقالتين، وذم الأخرى، ومنه ما يكون المعنيان غيرين، لكن لا يتنافيان، فهذا قول صحيح، وهذا قول صحيح، وإن لم يكن معنى أحدهما هو معنى الآخر، وهذا كثير في المنزاعات جداً، ومنه ما يكون طريقتان مشروعتان، ورجل أو قوم قد سلكوا هذه الطريق، وآخرون قد سلكوا الأخرى، وكلاهما حسن في الدين، ثم الجهل أو الظلم، يحمل على ذمٍّ

إحداهما، أو تفضيلها بلا قصد صالح، أو بلا علم، أو بلا نية، وبلا علم»[1].

فإذا وقع التنازع بين بعض المسلمين في هذا القسم من الاختلاف، صار هذا الاختلاف مذموماً، كما تبيَّن فيما مضى، وفي حديث عبد الله بن مسعود حول الاختلاف في القراءات، قال صلى الله عليه وسلّم: «كلاكما محسن، ولا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا، فهلكوا».

قال شيخ الإسلام: «نهى النبي صلى الله عليه وسلّم عن الاختلاف الذي فيه جحد كل واحد من المختلفين ما مع الآخر من الحق، لأنَّ كلا القارئين كان محسناً فيما قرأه، وعلَّل ذلك بأن من كان قبلنا اختلفوا فهلكوا، ولهذا قال حذيفة لعثمان: «أدرك هذه الأُمة لا تختلفْ في الكتاب، كما اختلف فيه الأمم قبلهم» لما رأى أهلَ الشَّامِ والعراق يختلفون في حروف القرآن الاختلافَ الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلّم، فأفاد ذلك شيئين:

**أحدهما**: تحريم الاختلاف في مثل هذا.

**والثاني**: الاعتبار بمن كان قبلنا، والحذر من مُشابهتهم»[2].

**أدب الاختلاف فيما يجوز فيه الخلاف:**

وضع الإسلام مبادىء خُلُقيَّة عالية للمسلم السائر على منهج السنَّة النبوية، في تعامله مع إخوانه، الذين اختلف معهم في المسائل الاجتهادية، ناهيك بذلك قول الرحمة المهداة «إنما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق»[3]، فمن الآداب:

١- رحابة الصدر في استقبال ما يصلك من بيان خطأ ذهبتَ إليه، وأن تعلم أن هذا من باب النصيحة، يهديها أخوك في الله إليك، واعلم أنَّ ردَّك للحقِّ، وغضَبك لنفسك هو من الكبر أعاذنا الله، فقد قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلّم: «الكبر بطر الحق،[4] وغمط الناس» رواه مسلم. وهناك أمثلة

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/١٣٢-١٣٤).

(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/١٢٧-١٢٨).

(٣) رواه البخاري في «الأدب المفرد»، والإمام أحمد. انظر «السلسلة الصحيحة» (٤٥).

(٤) بطر الحق: أي: دفعه وردُّه على قائله.

كثيرة حول هذا الأدب الفاضل أوضحها سلفُنا الصَّالحُ، منها:

ما رواه الحافظ ابن عبد البر قال: «وأخبرني غير واحد عن أبي محمد قاسم ابن أصبغ قال: لما رحلت إلى المشرق نزلتُ القيروان، فأخذت على بكر بن حمَّاد حديثَ مسدّد، ثم رحلتُ إلى بغداد، ولقيتُ النّاسَ، فلما انصرفتُ عدتُ إليه لتمام حديث مسدَّد، فقرأتُ عليه يوماً حديث النبي صلى اللّه عليه وسلّم: «إنه قدم قوم من مُضر (مجتابي النِّمار)، فقال لي: إنّما هو (مجتابي النِّمار)، فقلت له: (مجتابي النِّمار)، هكذا قرأتُه على كل من قرأتُ عليه بالأندلس، والعراق، فقال لي: بدخولك العراق تُعارضنا، وتفخر علينا، ثم قال لي: قم بنا إلى ذلك الشيخ، لشيخ كان في المسجد، فإن له بمثل هذا علماً، فقمنا إليه، وسألناه عن ذلك، فقال: إنما هو «مجتابي النِّمار»، كما قلت، وهم كانوا يلبسون الثياب مشقَّقة، جيوبهم أمامهم، والنِّمار جمع نمرة، فقال بكر بن حماد وأخذ أنفه: رغم أنفي للحق،رغمَ أنفي للحق، وانصرف»[1].

أرأيت أخي في اللّهِ – رعاك اللّه – إلى هذا الإنصاف العجيب، كم نحن في حاجة إليه اليوم؟! ولكن هيهات أن يكون ذلك إلا لمن خلصت نيته لله تعالى، فها هو ذا الإمام مالك رحمه اللّه يقول:« مافي زماننا شيء أقل من الإنصاف »[2] فما بالك بزماننا هذا الذي كثرت فيه الأهواء؟!، نعوذ باللّه من مضلات الفتن.

٢- أن تنتقي أحسنَ الكلامِ وأطيَبهُ في مناظرتك مع أخيك، فاللّه تعالى يقول: ﴿ وقولوا للنَّاس حُسناً ﴾ [البقرة:٨٣]، وعن أبي الدرداء أن النبي صلى اللّه عليه وسلّم قال:« ما مِنْ شيءٍ أثقَلَ في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن اللّه يبغض الفاحشَ البذيء». رواه الترمذي.

٣- أن تكون مناظرتك لأخيك بالتي هي أحسن للّتي هي أقوم، ويكون رائدك في ذلك الحق وبيانه، لا الانتصار للنفس الأمَّارة بالسوء، شيمتك فيما تقول الإخلاص، فإنْ وصل الأمر بك مع أخيك إلى المماراة، فقل له: سلام، واتلُ عليه قولَ الرسول صلى اللّه عليه وسلّم:« أنا زعيمٌ ببيت في رَبَض الجَّنة لمن ترك المراء وإن كان محقّاً ». رواه أبو داود عن أبي أمامة الباهلي.

وذكر الإمام الحافظ ابن عبد البر عن زكريا بن يحيى قال: سمعت الأصمعي يقول: قال عبداللّه بن حسن:« المراءُ يفسدُ

(١) «مختصر جامع بيان العلم وفضله» (ص١٢٣) اختصره الشيخ أحمد بن عمر المحمصاني.
(٢) المصدر السابق (ص١٢٠).

الصِّداقةَ القديمَة ويحلُّ العُقْدَة الوثيقة، وأقل ما فيه أن تكون المغالبة، والمغالبة أمتن أسباب القطيعة»[1].

وعن جعفر بن عوف قال:

سمعت مسْعراً يقول يخاطب ابنه كدَاماً:

**إنِّي منَحتُك يا كدامُ نصيحتي**
**فاسمع لقول أبٍ عليك شفيقِ**
**أما المزاحةُ والمراءُ فَدَعْهُمَا**
**خُلُقَان لا أرضاهما لصَديقِ**
**إنِّي بلوتُهما فلم أحْمَدْهما**
**لمجاور جاراً ولا لرفيق[1]**

وقد ضرب لنا السلف الصالح أروع الأمثلة في أدب الخلاف، ومن ذلك:

ما رواه البخاري ومسلم عن حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقضَّ البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة ولكني لُدغتُ، قال: فما صنعتَ؟ قلت: ارتقيتُ، قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشَّعبي، قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصين أنه قال: «لا رقية إلا من عين أو حمة»، قال: أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن حدثنا ابن عباس...»، إلى آخر الحديث.

فانظر إلى هذا الأدب الرفيع، من وارث علم ابن عباس رضي الله عنهما، لم يعنِّفه، بل جعله محسناً، حيث عمل بما لديه من دليل، ثم بيَّن له الأفضليَّة باستدراكٍ لطيفٍ مُدَعَّماً بالدليل.

أخيراً، فإننا نصل من خلال هذا الحديث إلى النتائج التالية:

١- أن الاختلاف وإن كان أمْراً قدريّاً إلا أنه يجب علينا أن نتوقاه، ولا نحرص على الخلاف السائغ ما وجدنا إلى ذلك سبيلاً.

٢- أن المسائل التي يجوز فيها الاجتهاد لها ضوابط وشروط، ينتظمها العلم، والإخلاص، لا اتباع الظن، وما تهوى الأنفس.

٣- لأهل السنة والجماعة منهجهم في فقه الاختلاف، مستقى من الكتاب، والسنة، ومن آدابه: التأدب بأخلاق السلف الصالح في تعاملهم مع بعضهم البعض عند الاختلاف.

٤- لا يحل لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يرمي أخاه بالافتراق عن منهج أهل السنة والجماعة، إلا بعلم وعدلٍ، لا بظلم وجهل.

٥- لا يجوز الخلط بين مسائل الاجتهاد وبين الافتراق، وكذلك بين من ابتدع بدعةً جزئيةً وبين مَنْ فارق السُّنَّةَ ببدعةٍ كليّة. ❑

(١) «مختصر جامع بيان العلم وفضله» (ص/٢٧٨).

سعد بن شايم العنزي

الحمد لله الذي جعل على كلِّ فترةٍ من الرُّسل بقايا من أهل العلم، ينفون عن دين الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، فكم من قتيلٍ لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍّ قد هدوه؟! فما أحسن أثرهم على الناس! وما أقبح أثر الناس عليهم!

فهم جند الله الغالبون، وحزبه المفلحون، والله يتولّى الصَّالحين، فما أشرفهم على الله ! فهم حملة دينه، وما أقربهم من الله! فهم ورثة أنبيائه، فقد أشهدهم على أعظم مشهود، فقال - وهو أحسن القائلين -: ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم ﴾. ورفعهم على بني جنسهم، فقال: ﴿ يرْفَع اللهُ الذين آمنوا منكم والذين أُوتوا العِلم دَرَجاتٍ ﴾. وجعلهم مرجعَ الأنام فقال: ﴿ فاسألوا أهلَ الذِّكرِ إن كُنتم لا تَعْلمون ﴾، فإليهم يرجعون، ومنهم يصدرون.

وليس كلُّ من صعد المنبر، وهزَّ أعواده، وطيَّش القلوب، بخطب رنَّانة، وعباراتٍ طنَّانة، كان عالماً، يصدر عنه ويورد، ولا كل مَنْ حرَّر مقالاً، أو حبّر كتاباً كان عالماً.

بل العالم من أفنى عمره في تحرير العلم وخدمته، يصدر عن الوحيين بفهم السلف الصالحين، امتزج العلم بدمه، وقُذف في قلبه، فلا ينطق إلا بعلم، راسخ القلب، ثابت القدم، مُلِيءَ علماً مِنْ أخمصِ قدميه إلى مشاش رأسه.

فليس كلُّ من صعق ونعق يكون عالماً، بل إننا في زمان كثير خطباؤه، قليل عُلماؤه؛ كما قال ابن مسعود.

فهؤلاء الحزب المصلحون- الذين جعل الله لهم لسان صدق في العالمين، ومقام إحسان في علِّيِّين -

جعلهم أصحابُ الأهواءِ غرضاً.

وهذه سنّة المبطلين في الطّعن في أهل السنة السلفيين، فمرةً يسمونهم «خُلوفاً»، ومرةً «حَشْوِيَّةً»، ومرة «أصحاب حواش وفروع»، ومرةً «علماء سلاطين» ومرةً «عُملاء»، ومرةً «علماء حيضٍ ونفاس»، ومرة «لا يفقهون الواقع»، وهكذا في سلسلة لا تنقطع- قطع الله حلوقهم- وهي «شِنْشِنةٌ نعرفها من أخزم» ومن يناصر مبطلاً فقد ظلم! كل ذلك إما طعناً بالسنة التي يحملها، وينافح عنها، أو لأنّه خرج عن تنظيمهم الحزبي!!

فـ«العالم الذي لم ينتمِ إليهم يلقب بأنه(ليس واعياً)، أو (غير واعٍ للواقع)، أو (غير فاهمٍ للواقع) وإلصاق التُّهم الكاذبة بالعلماء والتنفير منهم والنظر إليهم بعين السخط والاستصغار، وهكذا، تشييد جسرٍ ممتدٍّ من الغمز واللمز لعلماء الأمة والتنقص بهم، بل وصل الحال إلى التكفير فما دونه مما يستخرجونه من قاموس منظارهم الحزبي.

وما هذا من شهوة التكفير لدى بعض الفرق الغابرة ببعيدٍ، والبعيد بمفاوز عن مناهج جماعة المسلمين»[1].

إنّ إهانةَ علماء السَّلف - أمواتهم وأحيائهم - مُحرَّمةٌ شرعاً، بل إنَّ تنقُّصهم وازدراءهم أو الاستخفاف بهم أشدُّ إثماً وأعظم جرماً من إهانة غيرهم، فإهانة العلماء لا تقتصر على ذواتهم، بل تتعدى إلى ما يحملونه من علمٍ ودينٍ، والله يدافع عن الذين آمنوا، وهو يتولى الصَّالحين.

بل إنَّ الطّعنَ بالعَلماء بريدُ المروقِ من الدِّينِ، ﴿فلَيحذر الذين يُخَالفون عن أمره أن تُصيبهم فتنةٌ أو تصيبهم عذابٌ أليم﴾.

و«اعلم - وفقني الله وإيّاك لمرضَاته، وجعلني وإيّاك ممن يخشاه، ويتقيه حق تقاته - أنَّ لحومَ العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براء أمر عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم، والاختلاف على من

(١) «حكم الانتماء» (ص١٢١) للعلامة الشيخ بكر أبو زيد.

اختاره اللهُ منهم لنعش العلم، خُلُقٌ ذميم»[1].

واعلم - رحمني الله وإياك - أنَّ حُبَّ علماءِ السَّلَفِ - أحيائهم وأمواتهم - مِنْ سَلامة المعتقَدِ وصِحَّة الدِّين، قال ابن أبي حاتم الرازي: سمعت أبي يقول: «علامةُ أهل البدع الوقيعةُ في أهل الأثر، وعلامة الزَّنادقة تسميتهم أهل السنة حَشْوِيَّة، يريدون إبطال الآثار».[2]

قال قُتيبةُ بن سعيد: «إذا رأيتَ الرَّجُل يُحبُّ أهل الحديث، مثل: يحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق ابن راهويه... وذكر قوماً آخرين، فإنّه على السُّنة، ومن خَالف هؤلاء، فاعْلَم أنه مبتدعٌ»[3]

وقال عبد الرحمن بن مهدي: «إذا رأيت بصريّاً يحبُّ حماد بن زيد فهو صاحبُ سُنَّة»[4].

وقال الطَّحاويُّ في «عقيدته»:[5]

«وعلماءُ السَّلف من السَّابقين ومن بعدهم من التَّابعين - أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنَّظر - لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السَّبيل» ا.هـ

فإذا رأيتَ الرّجلَ يحبُّ عبدالعزيز بن باز، وناصر الدين الألباني، ومحمد الصالح العثيمين، ومن حدا حدوهم من أهل السنة والأثر فاعلم أنه على السبيل، ومن لا، فلا.

وهكذا - امتداداً لسلسلة المبطلين - تطالعنا المطابع التجارية بين الفينة والفينة بكتابات رخيصة، خرجت من قلوبٍ حاقدةٍ، جاعلةً علماء السنة هدفاً تصطاد به قلوبَ الضُّعفاء والسُّذَّج، ومتوهمة أنّ هؤلاء العلماء يسكتون على الباطل!!!!.

فتبًّا لكم وتبًّا، ولا كَثَّر اللهُ من أمثالكم، فما أرخصكم عليه، حتى جعلكم تقعون في أقربِ عبادهِ إليه.

---

(١) «تبيين كذب المفتري» (ص٢٥١) لابن عساكر الحافظ.

(٢) أخرجه اللالكائي (١/١٧٩).

(٣) أخرجه اللالكائي (١/٦٧).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/١٨٣)، وعنه اللالكائي (١/٦٢).

(٥) مع «الشرح» (ص٤٩١).

حتى إذا أخذكم لم يُفلتكم ﴿ولَتَعلمُنَّ نبأه بعد حين﴾، إنّ سكوتَ العلماء عن الدِّفاع عن أنفسهم، ليس حياءً أو خوفاً من هؤلاء «الصنائع»، ولكن حلماً وصبراً، وهم يظنُّون من أبناء ملَّتهم من يدافعُ عنهم ولكنكم قد خذلْتُموهم أحوج ما يكونون إليكم، وأصبحتم وراء أعدائهم تلهثون، كسبوكم بكتاباتهم «الفكرية» التي لا تسمن ولا تغني من جوع، وبخُطبهم النَّارية، فجعلوكم لعلمائكم أعداءً، ووراء منتقصيهم تركضون أسراباً!

وخذ مثالاً على ذلك - رزيةً من الرَّزايا العظام - فلقد خُدِعَ شاب غرِّير، غرّته كلماتُ هؤلاء «الصنائع»، وتهويلاتهم، بحماية الدِّين، وأنّ العلماء «عملاء» للسَّلاطين، يُضيِّعُون الدّين، فجاء هذا الشَّابُّ إلى أحد المشايخ الفضلاء يسأله عن علاّمةٍ في هذا الزَّمان، عرفه الناس بخدمة الدين، والورع المتين. فقال له: ياشيخ! هل ترى أنْ أستمرَّ بطلب العلم على الشيخ «فلان» بعد أن أصبح عميلاً؟؟!!

بالله! كم في الأمة من غرِّير مثل هذا؟

إنّ هؤلاء الضحايا تلاميذُ هذه المدارس الفكرية المحدثة، وكيف لا يقولُ الشَّبابُ بمثل هذا القول وهم يربَّون على هذا النهج؟!

تريدون مثالاً لصحة كلامي؟ خذوا ما كتبه كاتب - هو عند (بعض) شبابنا من المقدَّمين الأخيار- ، فكتب - وبئس ما كتب - في مجلة له، وسماها بـ«السنة» ظلماً وزوراً، وما فيها من اسمها سوى «حروف المعجم»، فقال - وبئس ما قال - [1]: «...وصنف آخر يأخذون ولا يخجلون، ويربطون مواقفهم بمواقف سادتهم... فإذا استعان السادة بالأمريكان انبرى العبيد إلى حشد الأدلة التي تجيز هذا العمل، ويقيمون النكير على كل من يخالفهم، وإذا اختلف السَّادةُ مع إيران الرافضة، تذكّر العبيدُ خبث الرافضة، وانحراف مناهجهم، وعداوتهم لأهل السنة، وإذا انتهى الخلاف سكت العبيدُ،

(١) عدد ذي الحجة١٤١٢هـ، ص٢٩-٣٠ زاوية «مع القراء» تحت عنوان (المساعدات الرسمية).

وتوقّفوا عن توزيع الكتب التي أعطيت لهم!! هذا الصنف من الناس يكذبون ... يتجسَّسون... يكتبون التّقارير، ويفعلون كل شيء يطلبه السادة منهم.. وهؤلاء قلّة، والحمد لله، ودخلاء على الدعوة والعمل الإسلامي، وأوراقهم مكشوفة، وإن أطالوا لحاهم، وقصَّروا ثيابهم، وزعموا بأنهم حماة للسنة [1]، ولا يضير الدعوةَ الإسلاميةَ وجود هذا الصنف من الناس، فالنفاق قديم، وكان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة»!! وقال: «يا إخواننا! لا تغرّنكم هذه المظاهر، فهذه المشيخة صنعها الظالمون، ومهمة فضيلة الشيخ لا تختلف عن مهمّة كبار رجال الأمن...»! إلى آخر هرائه..

فبالله عليك - أخي المسلم - ترجو وراء هذا المفتون نهضة بالأمة وهو يطعنها في قلبها.

وهكذا يُربَّى على هذا الفكر المنحرف شبابنا، فهذه المجلة يحرص عليها بعض الشباب بل «بعض الدعاة!!» حرصاً كبيراً، حتى إنهم يتناقلونها بينهم بالتصوير!!

ولا عجب فهذا زمان تَمَشْيُخ الرُّوَيْبِضة، وهؤلاء «الصنائع» كُثُرٌ لا كثَّرهم الله، علموا أنَّ بقاء العلماء على مكانتهم، شجىً في حلوقِهِمْ، فأخذوا بالتَّصيد بالمياه العكرة، فشبّهوا على الجهلة بما لا شبهه فيه، فأظهروا العلماءَ بلباس سوءٍ، وضعف، وعدم فقه للواقع!

وهكذا - على هذا المنوال أيضاً- تخرج علينا مجلة «المجتمع[2]» «لا جمع الله شمل المبطلين - بكتابة لمرتزق بئيس، يطعن بإمام من أئمة أهل السنة، وهو العلامة: (ناصر الدين الألباني).

وهي سنّة لهذه «المجتمع»، أخذت معها عهداً وميثاقاً بالتَّربُّص لعلماء السُّنة أتباع السلف، لتظهرهم بمظهر السوء ﴿ ولا يحيقُ المكر السَّيِّيءُ إلا بأهله ﴾. وليست هذه بالأولى من «المجتمع»، ولا عجب من أهلها، فهم عن مذهبهم

(١) تنبه، فمن الذي قام بحماية السنة إلا السَّلفيُّون؟

(٢) في عددها (١٠٦٤) بتاريخ ١٤/٣/١٤١٤هـ (ص٢٤-٢٥).

يُبينون، ولمنهجهم يُشيدون، لكن العجب كل العجب ممن لايزال معها على وصال، وقد تبّين منها الحال!!

إنها بالهجر أحق، ما لكم لا تستيقظون ؟! ما لكم إذا تَبَيَّنَ خطأ داعية خالف فيه الحق، أزبدتم وأرعدتم، وقلتم: أراد هدم الإسلام، ورميتم من أبان الحقَّ، وصوَّب الخطأ بكل سوء وفاحش من القول، ما لكم إذا طُعِن بالعلماء صراحاً، سكتُّم ، كأنكم لا تسمعون؟!

فهذا البائس «الجولاني» يزيد سواد «المجتمع» سواداً – وما ضرَّ المسكينُ سوى نفسه – بتلك المهاترات من أولئك النفر، الذين لو جمعوا في مَسْك واحد لما بلغوا شأو الشيخ ولا نصيفه، ولكن نحن في زمان يتكلم فيه «الرُّويبضة»، ويسكَّت الحكيم!!

فقد جاء هذا المسكين بكلِّ فاحشٍ من القول، وساقط من الكلام، لأناسٍ شتَّى، يجمعهم المشربُ الحزبي السياسي! فانتقى من كلامهم أفحشه و«ليس المؤمن بالطّعان ولا باللعان ولا الفاحش البذيء» كالذُّباب لا يقع إلا على «القاذورَات»، ومع هذا، وبكل وقاحة ينكر على تلامذة الشيخ أن ينافحوا عن شيخهم.

**أحرامٌ على بَلالهَ الدَّوح**
**حلالٌ للطَّير من كُلِّ جِنْسِ**

نسأل الله تعالى أن يحفظ لنا علماءنا، ويكلأهم برعايته، وأنْ يدفَع عنهم كلَّ سوء وأن يهديَ هؤلاء المبطلين ، أو يمحقَهم، ويكشف لشباب الأمة عوارَهم لِيَحذَرُوهم، وصلى الله على نبّينا محمد، وعلى آله، وصحبه،وسلَّمَ.❑

❑❑❑❑❑

# كلمة حول الجهاد

يوسف سليمان

قال اللّه سبحانه وتعالى: ﴿ ولولا دفعُ اللّهِ الناسَ بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن اللّه ذو فضل على العالمين ﴾.

وإذا كان اللّه عزّ وجلّ قد أخبر عن أهل الكفر والشر أنّهم لا يزالون يتربصون بالخير وأهله الدوائر، ويصدون عن سبيل اللّه من آمَن به ويبغونها عوجًا ، فإنَّ فساد الحياة الإنسانية نتيجة لا مفر منها ، إذا لم تجد هذه القوة الشريرة من يدفعها من أهل الخير والإيمان.

وإن من يستقرئ تاريخ الإنسانية، يجد أنَّ صلاح أهل الأرض كان دائمًا مرهونًا بعزة المؤمنين ، وقيادتهم للبشرية ، وأن فساد الناس كان مرتبطًا بخلوّ القيادة الإنسانية من هذه الفئة من الناس.

ما هو الجهاد ؟ الجهاد كما عرَّفه شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه اللّه – ت ( ٧٢٨ هـ) ، قال: «الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحبه اللّه ويرضاه من الإيمان ، والعمل الصالح ، ومن دفع ما يبغضه اللّه من الكفر والفسوق والعصيان» .[العبودية: ١٠٤] .

وعرَّفه بعض أهل العلم بـ( بذل الوسع ، واستفراغ الجهد ، في قتال الحربيين في سبيل اللّه ).

قلت : وقولهم :الحربيين أولى من قولهم :الكفار ، لأنه ثمة كُفَّار

ليسوا حَرْبيِّين، كالنساء والصبية والشيوخ والرهبان، وثمة مسلمون حربيُّون كقطاع الطرق.

ما هي الحرب ؟ لغةً : هي القتال، وقيل : هي الترامي بالسهام، والمجالدة بالسيوف والطعان في الرماح.

والحرب تعريفها في اصطلاح القانون الدولي العام : هي صراع مسلح بين دولتين فأكثر ، تحكمه مبادئ القانون الدولي.

قلت : وقولهم: بين دولتين فأكثر، خرج به النزاعات الداخلية.

**- الفرق بين الجهاد والحرب من حيث :**

**أ- الدوافع :**

الجهاد دوافعه أقصاها : إزالة الحواجز الطاغوتية التي تحول بين الناس واختيارهم ، أي :كسر الحواجز المادية التي تحول دون عبادة اللّه.

وأما دوافع الحرب فهي ليست دوافع شريفة البتة ، فهي إما أنْ تكون اقتصادية وإما سياسية ، وإما أيدلوجية ، وأما قومية ، وإما شخصية ... إلخ.

**ب- النتائج والآثار :**

عند دخول المحاربين في الإسلام يصير لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، في حين أن هذا الأمر منتفٍ تماماً في الحروب ، إذ إنّ شروط الطرف القوي تُملى على الطرف الضعيف، وذلك واضح في معاهدة الرومان مع القرطاجنيين، ومعاهدة ( فرساي ) .

**- حكم الجهاد :**

الراجح من أقوال أهل العلم أنّ الجهاد فرض كفاية في الجملة.

الدليل قوله تعالى :﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غيرُ أولي الضرر والمجاهدون في سبيل اللّه بأموالهم وأنْفسهم فضّل اللّه المجاهدين بأموالهم وأنّفسهم على القاعدين درجة وكُلاًّ وعد اللّهُ الحسنى ﴾.

ووجه الدلالة من الآية :

**١- قوله تعالى :**﴿ فضّل اللّه المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ﴾ والمفاضلة بين شيئين تدل على أنّ كلا الشيئين ذو فضل ولكن أفضل أحدهما من الآخر، فالمفاضلة تكون بين مأْجورَيْنِ لا بين مأجور وموزور.

**٢- وكذلك قوله تعالى:**

﴿ وكُلاًّ وعد اللّه الحسنى ﴾ فاللّه لا يعد تاركي فرض العين بالحسنى، فلو كان الجهادُ فرضَ عين لما وعدهم اللّه بالحسنى.

وأحب أن أنبِّه أن الجهاد في حال كونه فرض كفاية يشترط له رضا الوالدين وهو شرط (وجوب) على الراجح من أقوال أهل العلم، ولكن في حال تعيُّن الجهاد فإن رضا الوالدين غير ملتفت إليه.

وفي «صحيح البخاري» عن عبداللّه بن عمرو، قال: جاء رجل إلى النبي صلى اللّه عليه وسلّم فاستأذنه في الجهاد، فقال: أرضي والداك؟ قال نعم: قال: ففيهما فجاهد»، وبهذا يقول جمهور أهل العلم.

وأما أنه يتعين وجوبه، ففي ثلاث حالات، فيصبح فرض عين:

أ- إذا احتُلت أرض المسلمين، أصبح الجهاد فرض عين في حق أهل الأرض المحتلة، فإذا لم يكفوا لرد العدو أصبح فرض عين على مجاوريهم، وإذا لم يكفوا أصبح فرض عين على مجاوري مجاوريهم وهكذا.

ب- وكذلك يجب إذا استنفر الإمام أقواماً بعينهم، فإنه لازم في حقهم، لقوله تعالى: ﴿ ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل اللّه اثّاقلتم إلى الأرض ﴾، وقوله صلى اللّه عليه وسلّم فيما روى البخاري ومسلم عن ابن عباس، قال صلى اللّه عليه وسلّم: «وإذا استنفرتم فانفروا».

ج- عند المواجهة والتقاء الصفَّين وتقابل الرضفين، لقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا اللّه كثيراً ﴾ وفي الحديث الثابت في «الصحيح» أن النبي صلّى اللّه عليه وسلّم عدَّ من الكبائر الفرارَ يوم الزحف.

ولا أعلم في هذا بين أهل العلم خلافاً.

واللّه سبحانه وتعالى أسأل، وبأسمائه الحسنى وصفاته العلى أتوسل، أن ينفع بما كتبت، والحمد للّه الذي بنعمته تتم الصالحات. ❑

الحلقة الثانية

# نماذج من سيرة الدعاة إلى الله

د. صالح بن غانم السَّدلان

## ٢- نوح عليه السلام

نوح عليه السلام: لقد تكرر اسم نوح عليه السلام في القرآن الكريم خمساً وأربعين مرّة نذكر بعضاً منها بذكر الآيات والسور التي ورد اسمه فيها، ثم نعقب بذكر نموذج من هديه في الدعوة إلى اللّه تعالى، قال تعالى: ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنّة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون ﴾ [العنكبوت: ١٤].

وقال تعالى: ﴿ إنَّا أرسلنا نوحًا إلى قومه أن أنذر قومك منْ قَبلِ أن يأتيَهم عذابٌ أليم قال يا قوم إنِّي لكم نذيرٌ مُبينٌ. ﴾ [نوح: ١-٢]

اقتضت سنّة اللّه تعالى في خَلقه أن تعترض دعوةَ الإيمان نماذجُ من الفتنِ، وألوانٌ منَ الصِّعاب، والعقبات، والعوائق التي يتذرّعُ بها أعداءُ اللّه، للوقوف في وجه الدعوة وأصحابها، وها هو تاريخ البشرية الطّويل من لدن نوحٍ عليه السلام إلى يومنا هذا، مليء بالقوى المرصودة في طريق الدّعوة إلى اللّه معلَنة تبجّحها واستعلاءها وتمردها بلا حياء ولا حرج ... وقد لبث نوحٌ في قومه عُمراً طويلاً مديداً ألف سنّة إلا خمسين عاماً، ثم لم يؤمنْ له إلا القليلُ، فأخذهم الطُّوفان، وهم ظالمون.

وفي الآية التي بعدها من سورة نوح التي تقصُّ قصته مع قومه، وتصف تجربةً من تجارب الدعوة في الأرض، وتمثِّل دورة من دورات العلاج الدائم الثابت المتكرر للبشرية، وشوطاً من أشواط المعركة الخالدة بين الخير والشر، والهدى والضلال والحق والباطل.

إن نوحًا عليه السلام تتمثل فيه صورة الكفاح النبيل الطويل، لإقرار

حقيقة الإيمان والإصرار والثبات والجهد المضني والعناء المرهق.

فعلى الداعية إلى اللّه أن يستلهم هذه العبر، ويُجابه الصِّعابَ، وينهض بواجبه، ويدأب على الدعوة، ويتحيّن كلَّ فرصة ويضع نصب عينيه جهاد النبيين وإصرار المرسلين على أن تكون كلمة اللّه هي العليا، أيًّا كانت المشاق، ومهما كانت المتاعب.

**٣- إبراهيم عليه السلام**

إنَّ إبراهيم عليه السلام كان حنيفاً مسلماً، مائلاً عن كلِّ ملةٍ إلا الإسلام، معتقداً أنَّ الإسلام هو الرِّسالة الأولى والأخيرة إلى جميع البشر، وكذا اعتقد من جاء بعده من ذريته: إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط، حتّى أسلموا هذه العقيدة ذاتها إلى موسى، وعيسى، عليهما السلام، ثم آل الأمر أخيراً إلى ورثة إبراهيم من المسلمين.

وقصة إبراهيم مع قومه في القرآن الكريم تُرينا أنَّ نظام الحياة، ومنهج السُّلوك، وقواعدَ الأخلاق والآداب لن تقوم ولن تثبت إلا إذا ارتبطت بالعقيدة ارتباط الروح بالجسد.

إنَّ إبراهيم كان في ريعان شبابه، حينما آتاه اللّه رُشدَه، فاستنكر عبادة الأصنام وحطَّمها، وذلكم أنه نظَر بعقله وقلبه - بوعي وحكمةٍ - إلى آلهتهم، فَهَزِىءَ بها، وسخر منها، وكسّرها إلى قطع صغيرة، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، وإنما سخر من عقولهم، وتأفف منهم قائلاً: ﴿ أفٍّ لكم ولما تعبدونَ من دون اللّه.... ﴾ [ الأنبياء:٦٧ ]، عندها أخذتهم العزة بالإثم، كما تأخذ الطغاة والعاجزين دائماً، حينما يفقدون الحجّة، ويعوزهم الدليل، فيلجأون إلى القوة الغاشمة، والعذاب الغليظ: ﴿ قالوا حرِّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين ﴾، ولكنَّ رحمة اللّه وتأييده الملازمين للدعاة أبداً أبطلت قولهم، وأحبطت كيدهم: ﴿ قُلنا يا نارُ كوني بَرداً وسلاماً على إبراهيم ﴾، فانظر أخي الداعية بعين البصيرة إلى أبي الأنبياء؛ لقد ابتُلي فصبر، وأُعطي فشكر، وكانت الخاتمةُ الكريمة اللائقة به، وبصبره الجميل، أنْ جعل اللّهُ من ذرّيته خير أمة

أُخرجت للناس ، يهدون بأمر اللّه ، ويقيمون شرع اللّه، على هدىً وبصيرةٍ ، فلا بدَّ لأصحاب الدعوات أنْ يحتملوا تكاليفها ، وأن يصبروا على التكذيب بها ، والإيذاء من أجلها ، ولا بد أن يثبتوا على الحقِّ ، مهما كان الثَّمن ، ومهما كانت التَّضحيات .

قال تعالى :﴿ ولقد آتينا إبراهيم رُشْدَهُ مِنْ قَبلُ وكُنَّا به عالمين . إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التّماثيل التي أنتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين. قال لقد كُنتم أنتم وآباؤكم في ضَلالٍ مُبين . قالوا أَجئتَنَا بالحقِّ أم أنت من اللاعبين . قال بل ربُّكم ربُّ السَّموات والأرض الذي فَطَرهُنَّ وأنا على ذلكم مِنَ الشَّاهدين . وتاللّه لأَكيدَنَّ أصنامكم بعد أن تُولُّوا مُدبرين . فَجَعَلَهُم جُذَاذاً إلا كبيراً لهم لعلَّهم إليه يرجعون . قالوا مَنْ فَعَل هذا بآلهتنا إنه لمن الظَّالمين. قالوا سَمِعْنَا فتىً يَذْكُرُهُم يقال له إبراهيم. قالوا فَأْتوا به على أعين الناس لعلّم يشهدون. قالوا أأنت فَعَلْتَ هذا بآلهتنا يا إبراهيم. قال بل فعله كبيرُهم هذا فَاسْألوهُم إنْ كانُوا ينَطقُونَ . فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون. قال أفتعبدون من دون اللّه ما لا ينفعكم شيئًا ولا يضركم . أفٍّ لكم ولما تعبدون من دون اللّه أفلا تعقلون. قالوا حرِّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين. قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم. وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين. ونجّيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين . ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلاًّ جعلنا صالحين. وجعلْناهُم أئمة يَهدون بأَمرنا وأوحينا إليهم فعلَ الخيرات وإقامَ الصَّلاة وإيتاءَ الزَّكاة وكانوا لنا عابدين﴾ [الأنبياء:٥١-٧٣ ] .

وبعد هذا البيان : فلا عجب أن نرى الثّناء العظيم من اللّه تعالى ، بأنْ جعله عليه السلام أبا الأنبياء وإماماً للحنفاء، وقدوةً للمرسلين ، وهو المختار من بين الرسل بالخلّة والاصطفاء، ومنه تتفرّع شجرةُ النبوَّة. وهو رمز الإيمان؛ ابتلي فصبَرَ، وانتصر فشكر ، فكان عبداً وفيّاً ،

فجعله اللّه أمةً وحده واتخذه خليله، قال تعالى :﴿ إنَّ إبراهيمَ كان أُمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين ﴾ ، وقال تعالى ﴿ واتَّخذَ اللّهُ إبراهيمَ خليلاً ﴾ فأجيبوا دعاةَ الإسلام نداء أبيكم إبراهيم في البشرية ﴿ ربِّ إنهنّ أضللن كثيراً من النّاس فمن تبَعنَي فإنه منّي ومن عصاني فإنك غفورٌ رحيم ﴾ [إبراهيم: ٣٦] واصبروا، وصابروا، وثابروا، وادعوا، ولاتيأسوا، واتقوا اللّه، لعلكم تفلحون .

**٤- يوسف عليه السلام :**

يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، ذُكر اسمُه في ستة وعشرين آية من القرآن الكريم ؛في سورة يوسف ، والأنعام ، وغافر ، وقد وصفه اللّه بالصدّيقية ، ولهذا يسمى : الصدّيق يوسف ، أو يوسف الصدّيق ، وهو من أشهر أنبياء بني إسرائيل ، جاء قومه بالبيّنات ، ودعاهم إلى التّوحيد ، ونَبْذ عبادة الأصنام ، ومرَّ عليه السَّلامُ بمحَنٍ شديدةٍ ، وحياةٍ عصيبةٍ تنقّل فيها بين العُسر واليُسر، والشدَّة والرَّخاء، والضِّيق والسعة ، حسده إخوته ، فدبَّروا له المكيدةَ ، وألقوه في الجُبِّ ، ولولا تأييدُ اللّه له، ورحمته به ، لكان من الهالكين، وأحبّته امرأة العزيز ، وراودته عن نفسه ، ولكنَّ اللّه حفظه من كيدها ونجاه ﴿ فاستجاب له ربُّه فصرف عنه كيدهنَّ إنّه هو السميع العليم ﴾ ، ودخل السجن ظلمًا وعدواناً ، ومكث فيه بضع سنين ، وانتهز الفرصة ليبث بين السجناء عقيدته الصحيحة ، ويهزَّ كلَّ قوائمِ الشِّرك والطّاغوت والجاهلية ، ويفصح عن عقيدته ودعوته : ﴿ إنِّي تركتُ ملّةَ قومٍ لا يؤمنونَ باللّه وهم بالآخرةِ هم كافرون . واتبّعتُ ملّة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نُشركَ باللّه مِنْ شيء ذلك مِنْ فَضْلِ اللّه علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يَشْكُرون ﴾ [يوسف:٣٧-٣٨] .

وذلك شأن أولي الفضلِ من الناسِ، لا يفقدون صفاء دينهم ، إنْ فَقدوا صفاء دُنياهم ، ولا يهونون أمام أنفسهم، أمام نكبة حلَّت بهم ، فإنَّ تكاثرَ المصايب إشارةٌ إلى ما يُرشد من خير ، وما يراد له من كرامةٍ

وما رأيناه في هذه العجالة من قصّة يوسف عليه السلام ، يؤكد أنّ عظم المنزلة مع ثقل الأحمال ، ومعاناة الصِّعاب .

**٥- سليمان بن داود عليهما السلام :**

ورث سليمان أباه داود ، وكان مع حداثة سنه من ذوي الفطانة والذّكاء، وحُسن التدبير والسياسة، وقد أعطاه اللّه الحكمة وحسن القضاء .

قصَّ علينا القرآن قصّة سليمان مع ملكة سبأ ( بلقيس ) ، وهي قصةٌ رائعةٌ قصَّها اللّه على رسوله صلى اللّه عليه وسلّم ، وضمَّنها خيرَ التعاليم والمواعظ ، تثبيتاً له ولأمَّته على الحق ﴿ وكلاًّ نقصُّ عليك من أنباء الرسل ما نثبِّت به فؤادك ﴾ .

إنَ هدهداً كشف لسليمان عليه السلام ما عليه مملكة سبأ من الشِّرك والضَّلال ، فبعث إليهم سليمان أن يُسلموا لربِّ العالمين ، فحاولوا استرضاءهُ عنهم بالمال ، فلم تُغنهم المحاولة شيئاً، فقد رفض المال ، وأنذرهم جنوداً لا قِبَل لهم بها ، وحينئذ نزلوا على ملك سليمان وجاءوا مسلمين ، لأنهم أيقنوا هم وملكتهم أن سليمان عليه السلام ليس ممن يعمل للمال ، وأنه لا بد آخذهم بالبأس الماحق إنْ لم يسلموا، نعم؛ أرادت بلقيس – وقد توقَّد ذكاؤها وفطنتها – أن تختبر حقيقة سليمان ، فلم تحاول أن تُرشيه بالمال وإلا كانت غَبيةً، وإنما أرسلت له هدية لتسكِّتَه بها ، إنْ كان ممن يرضون بذلك ، وإن كان من أرباب العقائد والإيمان بما يدعوها إليه في خطابه فسوف يردُّ الهدية ، ولا يقبل إلا السَّيف ، فلما تبَّين لها أنّه صاحبُ مبدأ ، وداعيةُ توحيد ، لم تتأخّر في مبايعته والدُّخول في مملكته ، قال تعالى على لسان بلقيس :﴿ وإنِّي مُرسلةٌ إليهم بهديةٍ فناظرةٌ بم يرجعُ المرسلونَ ﴾ وقال تعالى على لسان سليمان لما وصله رسول بلقيس بالهدية : ﴿ فلما جاء سُليمانَ قال أتُمدُّونَنِ بمالٍ فما آتانيَ اللّه خيرٌ مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون . ارجعْ إليهم فلنأتيَنَّهم بجنودٍ لا قِبل لهم بها ولَنُخْرِجَنَّهم منها أذِلَّةً وهم صاغرون ﴾ .

فعلى الدُّعاة إلى اللّه أن يفرّقوا للنّاس بين الأحوال المشروعة للهدية والأحوال الممنوعة لها، فالهدية المشروعة إذا كانت وسيلةً من وسائل

الدعوة إلى اللّه ، وترسيخ المودة بين المسلمين ، وتقوية وشائج المحبة بينهم، وممنوعة إذا أُريد من ورائها إبطال حقٍّ أو إحقاق باطل ، أو إعاقة الداعية إلى اللّه عن إكمال مسيرته ، وظهور دعوته .

**٦- عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه :**

عمر بن الخطاب بن نفيل ، ثاني الخلفاء الراشدين ، يعدّ من أقوى رجال التاريخ شكيمةً ، وأشدّهم بأساً ، وأسدّهم رأياً، وأبعدهم نظراً ، وأعفّهم نفساً ، وأطهرهم ذمّة ، وأنقاهم سريرةً ، حياته جديرة بأن تُدرس درساً وافياً دقيقاً ، تلحُّ على من يُطالعها أن يعتبر بالعبر ، ويتعظ بالمواعظ ، ويقتبس من تلك الأخلاق القويمة ، والخصال الكريمة ، ليستفيد منها ، وينتفع بها ويفيد غيره .

إنَّ عمرَ رضي اللّه عنه كان يقدِّر المسؤوليّة حقَّ قدرها ، والقيام بالعمل المنوط به من أهم مبادئه ، وكان يبغض أن يكون الإنسان خالياً عن العمل ، عالةً على غيره ، لأن الفراغ مفسدة ، وقد أمر المنقطعين إلى العبادة أن يعملوا ، ويحصلوا على أرزاقهم ، ومن أقواله :« إنْ كان الشغل محمدة فالفراغ مفسدة » .

وقال رضي اللّه عنه :« لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ، ويقول : اللّهم ارزقني! وقد علم أنَّ السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ، وأن اللّه تعالى إنما يرزق الناس بعضهم من بعض » ، وهو بهذا يطبق قواعدَ الإسلام العملية ، فالإسلام دينُ عملٍ ، ونشاطٍ وسعي وليس دينَ كسلٍ ، وقعودٍ ، وتوانٍ ، وغفلةٍ . قال تعالى :﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكُلوا من رِزْقه وإليه النُّشور ﴾ [ الملك :١٥ ] ، وكان رضي اللّه عنه – مع عظم شأنه، ورجاحة عقله ، واشتهار عدله وفضله ، وتمسكه بكتاب اللّه وسنّة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم – متواضعاً يحب أن يعرف عيوبه ، إنْ كانت له عيوب ، حتّى يصلحها ، ولا يتمادى في الخطأ، لذلك قال: « أحب الناس إليّ من رفع عيوبي » .

كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم يسمي أصحابه بخير صفاتهم، التي امتازوا بها ، فسمى أبا بكر « صدّيقاً » ، وسمى عمر بن الخطاب

« الفاروق » ، وسمى خالد بن الوليد « سيف اللّه » ، نعم فهو الصادق المصدوق صلى اللّه عليه وسلّم ، فقد كان عمر رضي اللّه عنه جريئاً ، مُهاباً ، مقداماً ، لا يحب الاختفاء ، ولا يبالي بالأعداء ، جعل اللّه الحقّ في قلبه ، وعلى لسانه ، وفرّق به بين الحق والباطل.

**من حكمه وكلماته المأثورة رضي اللّه عنه :**

١- « ثلاث مهلكات : شحٌّ مطاع، وهوى مُتَّبع ، وإعجاب المرء بنفسه » .

٢- « حسبُ الرجل مالُه ، وكرمه دينه ، ومروءته خلقه » .

٣- « تعلّموا العلم للعلم ، وعليكم بالسكينة والعلم ، وتواضعوا لمن تتعلّمون منه ، ليتواضع لكم مَنْ تُعلّمونه ، ولا تكونوا من جبابرة العلماء ، فلا يقوم علمكم بجهلكم » .

وهكذا يرسم عمر لقادة المسلمين ودعاتهم قواعدَ عامةً في الدَّعوة ، والأخلاق ، والتواضع ، والعدل ، والاهتمام بشؤون الدَّعوة ، وتوجيه من يحتاج إلى التوجيه والإرشاد ، وذلك على ضوء كتاب اللّه وسنّة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم ، فما أحرانا أن نهتدي بهديه ، ونحتذي حذوه ، ونعمل بالدِّين ظاهراً وباطنًا .

**٧- شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه :**

شيخ الإسلام ابن تيمية كان شعلةً لا تنطفئ ، وقوةً لا تلين ، ودرسًا لا ينمحي ، وخلّف أثرًا عظيمًا ، وجهاداً جباراً ، ذو الفضائل المتكاثرة، والحجج الباهرة ، إمام الأئمة ، بركة الأمة ، علامة العلماء ، وارث الأنبياء ، برهان المتكلمين ، وقامع المبتدعين ، سيف المناظرين ، رافع لواء الدين ، حجة المسلمين ، لاحقٌ بالصّالحين ، والمشبَّه بالماضين : أبو العباس تقي الدين ابن تيمية رحمه اللّه .

إليك أخي الداعية طرفًا من سيرته، ونموذجًا من دعوته : جاء هذا العالمُ في وقتٍ عمَّ فيه الجهلُ ، وانتشر فيه الظلامُ ومدّ الفسادُ أخطبوطه في أعناق المصلحين، ودعاة

الإسلام ، يحاول خنق أنفاسهم ، فجاء هذا الخبر ، ووضع شعلة القرآن، ونور السنّة ، على طريق المسلمين ، وهداهم إلى التّوحيد الصحيح ، والعقيدة السّلفية الصافية، ونبذ الخلافات المذهبية ، والطُّرق الصوفية، والفرق الضالة ، فكان نصيبُه من الحاقدين على الدعوة والدعاة أن اضطهدوه واتهموه بالضعف في الدين ، والمروق من الإسلام – وحاشاه أن يكون كذلك – ، ولكنه كان ثابت الجأش ، قوي القلب ، صادقًا في توكله ، واعتماده على ربه .

لقد هال ابنَ تيمية أن يرى المسلمين في عصره ، وقد أتى عليهم حينٌ من الدّهر ينحرفون عن التّوحيد الخالص ، ويتّخذونه لفظًا فقط ، يُتمتِمون به في تسبيحاتهم ، وصلواتهم ، ويتساقطون على قبور الأنبياء ، والأولياء ، يستغيثون بهم ، ويدعونهم في الشّدائد ، وينذرون لهم ، فسارع إلى إنقاذهم مُتَحَمِّلاً جميع الأذى منهم ، فألف الكتب والرسائل الكثيرة ، داعيًا المسلمين إلى تطهير عقائدهم من الشرك ، ولكن كبُر ذلك على مدَّعي العلم ، والمقلِّدة ، والخرافيين منهم ، فضاقوا به ، وبدعوته ، ووشوا به إلى الحكّام، واتّهموهُ بالكفر ، فزجّوا به أعماق السجون ، تارة في القاهرة ، وتارة في دمشق ، وتارة في الإسكندرية ، ومع ذلك لم يَحُلِ السِّجنُ بينه وبين دعوته الإصلاحية ، ولم تَفْتُر له همةٌ طوال مدّة سجنه ، وعكف على التَّأليف والتَّصنيف ، وبقيت آثارهُ شاهدةً على صدقه في دعوته ، وإخلاصه لربِّه ، فطاب حيًّا وميتًا رحمه اللّه .

**٨- الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه اللّه :**

إن إرادة اللّه غالبةٌ ، وجنده هم المنصورون ، لقد ارتفعت في جنبات أرضِ نجدٍ كلمةُ التوحيد الخالصة لله تعالى ، وكان هذا إيذانًا بتدمير دولة الطّاغوت التي تمثلها قباب الموتى ، وأضرحة الأولياء ، وما يغري به الشيطان أتباعه من الاستعانة ، والاستغاثة بالشجر ، والحجر ، والأصنام ، مهما طال المدى ، فإنه لا بد للظلام أن ينقشع ، وللصبح أن ينجلي ... وجاءت جيوشُ الدعوةِ

السَّلفية : دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، تزلزل العروش ، وتقوِّض التيجان ، وتزيل الممالك ، وترهب أعداء اللّه ، وأعداء دينه.

والذي أحبُّ أن أُنبِّه الأنظار إليه : أنَّ هذه الدعوة في إبَّان قيامها تعرضت ككل الدعوات لسيل جارف من الاتهامات الباطلة ، ولكن بعزمٍ صادق ، ويقينٍ لا يتزعزع ، وعقيدة تملأ القلب والوجدان ، انبرى الإمام لهؤلاء الأدعياء ، يردُّ كيدَهم في نحورهم ، ويُبَيِّنُ للأمة الإسلاميّة حقيقةَ ما يدعو إليه ، مجاهداً في كلِّ موقع ، محارباً في كلِّ ميدان ، مؤمناً بربِّه ، واثقاً من تأييده ونصره له ، حتّى لقي ربَّه.

وليس بخافٍ على أحدٍ ما وقع لآل سعود وآل الشيخ ، على يد محمد علي والي مصر ، بتحريض من السلطان العثماني ، فقد جاء جيش الظلم إلى نجد ، ودخل الدريعية ، وسلّط المدافع عليها ، فحصد أهلها، وخرَّب دورها ، وهدم حصونها ، وقتل كثيراً من آل سعود، وآل الشيخ ، وأخذ الكثيرَ منهم أسرى إلى مصر.

وصمد أتباع الدعوة السلفية ، لتلك الحرب الضارية ، وواجهوها بسلاح الحق ، الذي يدعون إليه ، وقطعوا دابر الشرك ، وقمعوا البدع والضلالات ، وكشفوا الشّبهات عن هذا الدِّين الحنيف ، ولا تزال – بحمد اللّه تعالى – أعلامُ الدّعوةِ السَّلفية عاليةً خفّاقة في بقاع الأرض، لا تؤثّر فيها الحوادث ، ولا تتغيّر بالوقائع ، ثابتةً على المنهج الحقّ بقوّة وإصرار.

ولم يكن قصدُنا من هذه الإشارة التطويل في البيانِ ، إنما أردنا أخذ العبرة والعظة ويكفي أن نستشعر أن هناك فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن اللّه ، وأنَّ الحقَّ دائمًا منصورٌ ، وإنْ قلَّ أهلُه، وأنَّ الباطلَ مُنكسٌ مدحورٌ، وإنْ ملأَ الأرض خزيه ... واللّه الموفِّق، والهادي إلى سواء السبيل.

**ثالثاً : عوامل الصَّبر والثَّبات :**

إنَّ العقيدة المتينة معين لا ينضب للنشاط الموصول ، والحماسة المدَّخرة، واحتمال الصِّعاب ، ومواجهة الأخطار ، وتلك طبيعة الإيمان ، إذا تغلغل في النفوس ، فإنه

يضفي على صاحبه قوةَ طبعٍ في سلوكه كله ، فإذا تكلم كان واثقًا من قوله ، وإذا اشتغل كان راسخًا في عمله ، وإذا اتَّجه كان واضحًا في هدفه ، فما دام مطمئنًّا إلى الفكرة التي تملأ عقله ، وإلى العقيدة التي تعمر قلبه ، فقلَّما يعرف التَّرَدُّدُ سبيلاً إلى نفسه ، وقلَّما تزحزحه العواصفُ العاتيةُ عن موقفه ، لا يستبعده العرفُ الغالبُ ، ولا تتحكَّم فيه التَّقاليدُ السَّائدة ، ولو أدّى تصحيحها إلى أن يبذل فيها نفسه ، ويُضَحّي فيها بدمه ، ما دام واثقًا فيما يراه أنه الحق ، فليزم الدّاعيةَ إلى اللّه أن يكون رجلَ مبدأ متميزاً ، يعاشر الناس على بصيرة من أمره ، إنْ رآهم على صواب ، تعاون معهم ، وإن رآهم مخطئين ، جابههم بآراء حُرَّةٍ ، وأفكارٍ صريحةٍ ، وحقائق واضحة تكشف لهم عن خطئهم ، لا يخشى في اللّه لومة لائم ، ولا تعنيه قوة النقد أو جراحات الألسنة، وغير حاسب لرضا الناس أو بغضهم حسابًا ولا وزنًا ، فماذا عسى أن يفعل الناس لامرئ اعتز بإيمانه واستشعر القوة لِصلتهِ بربه واستقامته في دينه ؟! إنهم لو تألّبوا عليه جميعًا ، ما نالوا منه قليلاً ولا كثيراً.

ويجب على الدّاعية إلى اللّه أن يوطِّن نفسه ، ويظل موفورَ الثِّقة ، بادي الثَّبات ، بقلب لا تعلُق به ريبة، وعقل لا تطيش به كربة ، فقد أكَّدَ اللّهُ أنَّ الابتلاء لا محيص عنه لكي نأخذ استعدادنا للنوازل المتوقّعة ، ولا تذهلنا المفاجآت ، قال تعالى :﴿ ولنبلونَّكم حتّى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ﴾ [ محمد :٣] ، وقال تعالى: ﴿ وإن تصبروا وتتّقوا فإنَّ ذلكَ من عَزْمِ الأُمور ﴾ [آل عمران:١٨٦ ] ، وقال تعالى مخاطبًا نبيّه صلى اللّه عليه وسلّم ، الذي احتمل ما احتمل ، وعانى من أمر الدَّعوة ما عانى ، بعيداً من كل سندٍ وظهرٍ ، إلا لله وحده ، ثم من آمن بدعوته ، قال تعالى : ﴿ فاصبر كما صبر أُولو العَزْمِ من الرُّسل ولا تَسْتَعْجِل لهم كأنَّهم يوم يَرَوْنَ ما يوعدون لم يَلْبَثوا إلا ساعةً من نهار بلاغٌ فهل يُهْلَكُ إلا القومُ الفاسقون ﴾[ الأحقاف:٣٥ ].

وعليه؛ فإنَّ من عوامل الصبر

والثبات أن لا يتملّق الدّاعية ، أو يداهن على حساب دعوته ، أو يصانع على حساب الحق بما يغض من كرامته ويحط من قدره ، بل عليه أن يكون صريحاً يواجه الناس بقلب مفتوح ، ومبادئ معروفة.

**رابعاً : الوسائل التي يتخذها الداعية لضمان نجاح دعوته :**

للدَّعوة أثرٌ كبيرٌ في فلاح الأمم وتسابقها في مضمار الحياة الزاهرة ، وهذا ما يجعلها بالمكانة السّامية ، ويجعل صاحبها عزيز الجانب ، قويَّ الإرادة ، إذا أخذ بالوسائل التي تضمن له – بإذن اللّه – نجاح دعوته، ومن هذه الوسائل :

**أولاً** : أن يتّصف بمكارم الأخلاق، ويتحلّى بالشِّيم النَّبيلة ، والشمائل الكريمة ويتّسم بالجد ، والوقار ، والمروءة ، وسموّ الأخلاق ، والترفّع عن سفاسف الأُمور.

**ثانياً** : أن يُحسن اختيار الوقت : ومعناه أن يختار وقتاً مناسباً ، يكون الناس فيه على استعداد للتلقّي ، فيذكّر حيثما وجد فرصةً للتّذكير ، ومنفذاً للقلوب ، روى البخاري في «صحيحه» عن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال :كان النبي صلى اللّه عليه وسلّم يتخوَّلنا بالموعظة في الأيام ، كراهة السآمة علينا[1].

قال الحافظ رحمه اللّه : « باب ما كان النبي صلى اللّه عليه وسلّم يتخولهم ( أي : يتعهّدهم ) ، بالموعظة والعلم ، كي لا ينفروا : ..... والمعنى : كان يراعي الأوقات في تذكيرهم ، ولا يفعل ذلك كل يوم ، لئلا يملّوا ، ويختلف باختلاف الأحوال والأشخاص ، والضابط : الحاجة ، مع مراعاة وجود النشاط »[2].

**ثالثاً** : أن لا يؤذي مشاعر السامعين، بأن يكون دائماً متشائماً، عابساً ، كارهاً لكل وضع ، ثائراً على كل واقع ، مُتَفَنِّناً في سرد العيوب في الأفراد أو في المجتمعات – إلا لتصوير واقع بقصد علاجه أو تحسينه– ويحسن أن تكون عنده النكتة الأدبية ، والابتسامة الرفيعة ، والأخوّة الحميمة ، والقلب الواسع ، والأمل العريض ، وآيات القرآن خير شاهد على ذلك ، قال تعالى:

(١) أخرجه البخاري : كتاب العلم : باب :١١ :(١/ ٢٥ – ط استانبول).

(٢) «فتح الباري » (١/ ١٦٢–ط السلفية).

﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى اللّه بإذنه وسراجاً منيراً ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦].

**رابعاً** : أن يلزم الوقار وحسن السمت ، واتزان النظرات ، وتقسيم الموضوع ، ليسهل استيعابه وفهمه لدى السامعين ، ويعرض الموضوعات التي يهتم بها الناس ، أو تضيف إليهم جديداً ، ويتحسس الداء فيضع له الدواء.

**خامساً** : إن النفس تستأنس بالمثل، ويَلمع في جوانبها ضوء من وضوحه، وجمال حكمته ، فعلى الداعية إلى اللّه أن يحرص على ضرب الأمثال ، لتقريب المعنى إلى الأفهام ، فقد كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم يورد الأمثال المروية في حديثه، ولا يرى بذلك بأساً ، فالمثل حكمة ، والحكمة ضالة المؤمن، أنى وجدها فهو أحق الناس بها ، وقد اجتمعت ميزات المثل في عبارات القرآن الكريم، وأحاديث رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم ، فجرت بذلك على الألسنة ، زادت بها ثروة الأمثال وشرفت ، قال تعالى: ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾ [الحشر: ٢١].

ومن العبارات النبوية التي صارت مثلاً بل أمثالاً، قوله صلى اللّه عليه وسلّم :« لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ».

وقوله :« إن المنبت لا أرضاً قطع ، ولا ظهراً أبقى » (١) وغير ذلك ، ومن أراد الاستزادة فعليه بكتاب « الإتقان » للسيوطي ، وغيره من الكتب الأدبية ، التي عنيت بالأمثال القرآنية ، والنبوية ، والعربية.

**سادساً** : أن يعنى بنفسه ، بأن يكون في لباسه ، ورائحته ، ومظهره، مألوفاً ، لا صاحب لباس شهرة، أو أن تصدر عنه حركات غير مألوفة وقد وَرَدَ عن مالك رضي اللّه عنه أنّه قال :« ما أحب لامرئ أنعم اللّه عليه، ألا يرى أثر نعمته عليه ، وخاصة أهل العلم »(٢)

وكان رضي اللّه عنه يعطي نفسه عند التحديث عن رسول اللّه صلى

(١) الحديث لم يثبت ، فاقتضى التنويه. ( **الأصالة** ).

(٢) « مالك – آراؤه ، وعصره ، وحياته ، وفقهه » (ص٤٦-٤٧) لمحمد أبو زهرة ، ط. دار الفكر العربي – مصر.

اللّه عليه وسلّم سمتاً أحسن ومظهراً أروع ما يكون ، فكان إذا حدث توضأ ، ولبس أحسن ثيابه ، ولم يكن يجلس على المنصة إلا إذا حدَّث حديث رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم .

أخي الداعية!

إنك تدعو إلى أشرف دعوة ، وتدعو إلى الإصلاح ، وائتلاف القلوب والمشاعر ، وستقابل في دعوتك بالصدود ، والإعراض ، إن ضاق صدرك ، ولم تستلهم الرشد ، وعوامل الفلاح ، وستدخل كلمتك إلى سويداء القلوب ، وتصادف موقعا من النفوس ، إن دعوت إلى اللّه بالحسنى واتخذت القدوة والأسوة من نبي الهدى صلى اللّه عليه وسلّم ، والسلف الصالحين ، من الصحابة ، والتابعين ، ومن سار على دربهم .

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

وصلى اللّه على نبينا محمد ، وعلى آله ، وصحبه ، وسلّم ❑

❑❑❑❑❑

أيُّها الطالبُ الحريصُ تعلَّم    أنَّ للحقِّ مذهبًا قد ضلَلْتَه

ليسَ يُجدي عليكَ علمكَ إنْ لم    تكُ مستعملاً لما قد علمتَه

قدْ لعَمْري اغتربتَ في طلب العلـ    ـم وحاولتَ جمعَهُ فجمعتَهْ

ولقيتَ الرجالَ فيه وزاحمْـ    ـتَ عليه الجميعَ حتى سمعْتَهْ

ثم ضيَّعتَ أو نَسيتَ وما ينـ    ـفعُ علمٌ نسيتَه أو أضعْتَهْ

وسواءٌ عليكَ علمُكَ إن لم    يُجدِ علمًا عليكَ أو ما جهلْتَهْ

كم إلى كم تخادعُ النفسَ جهلاً    ثم تجري خلافَ ما قد عرفتَهْ

تصفُ الحقَّ والطريقَ إليه    فإذا ما عملتَ خالفتَ سَمْتَهْ

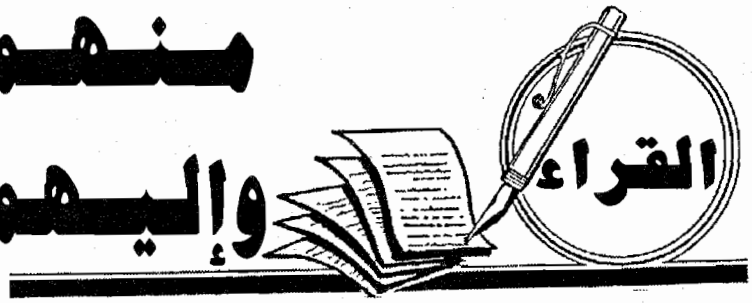


وصلت « **الأصالة** »رسالة من الأخ الكريم أيمن الدقاق أبوحذيفة الشامي، مندوب جمعية البر – فرع كراتشي –باكستان، تفيضُ بالمشاعر الأخويّة الصادقة نحو **الأصالة** وأهلها يقول فيها:

بعد التحيّة والاحترام، دفعني بياضُ صفحاتكم المستمدّ من النورِ الذي أُنزلَ على نبّينا محمد صلّى الله عليه وسلم الكتاب والسنة بفهم سلفنا الصالح، والذي أصبحَ غريباً عند كثير من المسلمين، فطوبى للغرباء الذين يرفعونَ هذا اللواء، دفعني هذا لأن أسطِّر لكم هذه الأحرف والكلمات، وأُعلنَ فيها محبتي لكم في الله، ودعائي لكم بالتوفيق.

والأخ الفاضلُ يطلبُ الاشتراك في **الأصالة**.

**الأصالة:** نقولُ للأخ أيمن: جزاكَ اللهُ خيراً على هذه الكلمات الطّيبة، ونحن نبادلك الحبَّ في الله، ونعتذرُ لك أشدَّ الأعتذارِ عن تأخُّر وصول الأعداد إليك، علماً بأن قيمةَ الاشتراك قد وصلتنا، ولكنّ الذي يُؤْسَف له أنّ رسالتَكم فُقِدَت فترةً طويلةً حتّى جرى البحث عنها بدقة، والأعداد في طريقها إليك ، مع رجاء التماسِ العذرِ لإخوانكم، ومرحباً بك أخاً وزميلاً لـ « **الأصالة** » وأسرة تحريرها.

وصلت **الأصالة** رسالة من الأخ سامح عبد الله حسين أبو الشيخ من فلسطين، يقول فيها:

الإخوة القائمين على مجلّة « **الأصالة** » .. لقد أثلجَ صدري عندما علمتُ أنَّ هناك مجلة إسلاميّةً جامعةً تنتهجُ نهجَ السلف الصالح في العقيدة والمنهج والأحكام الشرعيّة دونَ لبس، ولكنه الدليل ثمَّ الحكمُ الشرعيّ، وهذا هو نهجُ

صحابةِ الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين، ثم يختم رسالته بقوله: وآخر الحديث أسألُ الله عزَّ وجلّ أن يجعلنا ممن يستَمعونَ القولَ فيتبعون أحسنَه، وأن يجعل مجلّة «**الأصالة**» منبَر نورٍ لتكملَ مشوارَ المجلاّت الأُخرى التي تسيرُ على نفسِ المنهجِ.

**الأصالة**: نشكرُ الأخ سامح، ونرحب به أخاً وزميلاً لـ**الأصالة**، ونرجوا الأخ سامح وإخوانه العملَ على نشر «**الأصالة**» بين المسلمين في فلسطينَ والمتابعة المتواصلة لأعدادها، ليعم الخير، ويزداد النفع مع رجاء تبليغ سلام أسرة تحرير **الأصالة** لكل الإخوة في العقيدة والمنهج في فلسطين الغالية.

أما بخصوص مقاليك، فسنعرضهما على اللجنة المختصة، آملين أن يجدا طريقَهما للنشر قريباً إن شاء الله.

ووصلت إلى «**الأصالة**» رسالة من الأخ عمر بن عبد الرحمنَ اندهوفن – هولندا، يبعثُ فيها بأحرِّ سلامه لشيخنا العلامة الألبانّي وأُسرةِ تحرير **الأصالة**، ويتمنى للجميع التوفيقَ.

**الأصالة:** نشكر الأخ عمر على اهتمامه بـ«**الأصالة**» والمشايخ الذي يكتبون فيها، ونعلِمُك يا أخ عمر! أننا كلَّمنا الشيخ حفظه الله بخصوصِ كتبه وترجمتها إلى الهولنديّة، فأشار أن نخبركم بضرورة الاتصال به لترتيبِ هذا الأمر.

وفَّق اللهُ الجميعَ لما يحبُّ ويرضى.

فإن جهلتَ ما سُئلتَ عنهُ ... ولم يكن عندك علمٌ منه
فلا تقل فيه بغير فهم ... إنّ الخطا مُزرٍ بأهل العلم
وقلْ إذا أعياك ذاكَ الأمرُ ... ما لي بما تسألُ عنهُ خُبرُ
فذاك شطرُ العلم عند العُلَمَا ... كذاك ما زالت تقولُ الحكما

# مسك الختام

من الأمراض الفتّاكة التي لا يكاد يسلم صاحبها من الهلاك يوم القيامة، ومن مَقْت الناس وازدرائهم في الحياة الدنيا( العُجب )، كغيره من الشرور التي تُلمسُ وتُحسّ، وآثاره تُرى وتُشاهد على ( الكثير )، إلا من رحم ربِّي، وقليل ما هم، وكان سلفُنا الصّالحُ – رحمهم اللّه تعالى – يمتازون بفرط التواضع واستصغار النّفس، وهم يتميزون على الخلف بذلك، فهم أبعد الناس عن الغرور، والأدلة والشواهد على ذلك كثيرة وفيرة، نكتفي بواحدٍ منها:

أخرج البخاري( رقم ٤٧٥٠ )، ومسلم ( رقم ٢٧٧٠ ) عن عائشة رضي اللّه عنها ضمن حديث ( الإفك ) الطويل، قولها:

« ولشأني في نفسي كان أحقَر منْ أنّ يتكلّم اللّهُ فيَّ بوحيٍ يتلى، ولكن كنتُ أرجو أنّ يرى رسولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلم رؤيا يُبَرِّئُني اللّهُ بها ».

قال الإمام ابن القيم معلقاً على المقولة المذكورة:

« فهذه صدِّيقة الأمة وأم المؤمنين، وحِبُّ رسول رب العالمين، وهي تعلم أنّها بريئة مظلومة، وأنّ قاذفيها ظالمون مفترون عليها، قد بلغ أذاهم إلى أبويها، وإلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، وهذا كان إحقارها لنفسها، وتصغيرها لشأنها، فما ظنك بمن صام يوماً أو يومين، أو شهراً وشهرين، وقام ليلة أو ليلتين، وظهر عليه شيء من الأحوال، ولاحظوا أنفسهم بعين استحقاق ( الكرامات ) و( المكاشفات ) و( المخاطبات ) و( المنازلات ) و ( إجابة الدعوات )، وأنهم ممن يُتبرك بلقائهم، ويُغتنم صالح دعائهم، وأنّهم يجب على الناس احترامهم، وتعظيمهم، وتعزيرهم، وتوقيرهم، فيُتمسح بأثوابهم، ويُقبّل ثرى أعتابهم، وأنّهم من اللّه بالمكانة التي ينتقم لهم لأجلها ممن تنقصهم في الحال، وأن يؤخذ من أساء الأدب عليهم من غير إمهال، وأن الإساءة عليهم ذنب لا يكفره شيء إلا رضاهم، ولو كان هذا من وراء

كفاية لهان، ولكن من وراء تخلُّف، وهذه (الحماقات) و(الرُّعونات) نتائجُ الجهل الصحيح، والعقل غير المستقيم، فإن ذلك إنما يصدر من جاهل معجب بنفسه، غافل عن جرمه وذنبه، مغترٍّ بإمهال اللّه له عن أخذه بما هو فيه من الكبر والإزراء على مَن لعله عند اللّه خير منه.

نسأل اللّه العافية في الدنيا والآخرة، وينبغي للعبد أنّ يستعيذ باللّه أنّ يكون عند نفسه عظيماً، وهو عند اللّه حقيراً»[1].

وهذه الصورة المذمومة، كانت شائعة ذائعة في وقت الإمام ابن القيم عند الصوفية والمبتدعة، وها هي بدأت تطلُّ برأسها عند بعض طلبة العلم، فلسان حالهم إن لم يكن قالهم يردد ما ذكره ابن القيم عن هؤلاء (المغرورين)، فالواحد منهم، إن قرأ (صفحة) أو (صفحتين)، أو كتاباً وكتابين، أخذ يسوّد على القرطاس، وينفخ في الناس، ويذكر أنّ له (اختيارات) و(اجتهادات) و(ومؤلفات)!! وكأنّه من عجزه، وقلة دينه وورعه، وبسبب عُجبه وغروره بنفسه، يقول: «أنا أبو اعرفوني»، فلا يسلم من لسانه عالم ولا (فاضل)، وإن مدح عالماً أو (فاضلاً) ففي مقام ذكره نفسه فحسب، وليس من باب مراعاة (إفادة لفظة، أو ودّ لحظة).

واسمع عافاك اللّه من هذا الدّاء إلى الفرق بين السلف والخلف: «فقد كان السلف مع حسن القصد، وصحة النية يخافون من الكلام، وإظهار المعرفة والفضيلة، واليوم يُكثرون الكلام مع نقص العلم، وسوء القصد، ثم إن اللّه يفضحهم، ويلوح جهلهم وهواهم، واضطرابهم فيما علموه، فنسأل اللّه التوفيق والإخلاص»[2].

فكن أخي القارىء! سلفي النهج، سلفي الخلق، سلفي العقيدة، فلا تعمل إلا بما تعلم، ولا تعمل ما لا تعلم، وعلم ما تعلم، ولا تمنع من أراد أنْ يعلم، فذهاب الإسلام من هؤلاء الأربعة،«فما ظنك إذا انضم إليها كبر، وفجور، وإجرامٌ، وتجرهم

(١) من «جلاء الأفهام» (ص١٢٦-١٢٧).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٤٦٤-٤٦٥).

على اللّه؟ نسأل اللّه العافية »[١].

فإن فعلت، فما إخالك إلا ناجيًا، قال معمر: « لقد طلبنا هذا الشأنَ، وما لنا فيه نية، ثم رزقنا اللّه النية من بعد » وقال: « كان يقال: إن الرجل يطلب العلم لغير اللّه، فيأبى عليه العلم حتى يكون لله ».

نعم، يطلبه أولاً، والحامل له حبُّ العلم، وحبُّ إزالة الجهل عنه، وحبُّ الوظائف، ونحو ذلك، ولم يكن علم وجوب الإخلاص فيه، ولا صدقَ النية، فإذا علم، حاسب نفسه، وخاف من وبال قصده، فتجيئه النية الصالحة كلها أو بعضها، وقد يتوب من نيته الفاسدة ويندم، وعلامة ذلك أنْ يقصر من الدعاوى، وحب المناظرة، ومن قصد التكثر بعلمه، ويُزري على نفسه، فإن تكثَّر بعلمه، أو قال: أنا أعلم من فلان، فبعداً له[٢].

والحاصل: أنّ السلامة لطالب العلم في الدَّارَيْن أنّ يبتعد عن (العجب) و (الكبر)، وأن يسلم من آثارهما، وأن يزري على نفسه، ولا يتكثَّر بعلمه، فلا هو في القراءة، كأبيّ، ولا في التأويل كابن عباس، ولا في القضاء كعلي، ولا في الفرائض كزيد، ولا في الأمانة كأبي عبيدة، ولا في صدق اللّهجة كأبي ذر، ولا في الفقه كمالك، ولا في الحديث كأحمد، ولا في اللغة كأبي عبيد، ولا في الشعر كأبي تمّام، ولا في العبادة كالفُضيل، ولا في الحفظ كالثوري، ولا في الأخبار كالواقدي، ولا في الزهد كالكرخي، ولا في النحو كسيبويه، ولا في العروض كالخليل، ولا في الخطابة كابن نباتة، ولا في الإنشاء كالقاضي الفاضل، ولا في الكتابة كابن البوَّاب، واللّه الموفق للخيرات، والهادي للصالحات، وهو سبحانه الواقي. ❑

❑❑❑❑❑

فَإِذَا النُّفُوسُ تَقَعْقَعَتْ فِي ضِيقِ حَشْرَجَةِ الصُّدُورِ
فَهُنَاكَ تَعْلَمُ مُوقِنًا مَا كُنْتَ إِلا فِي غُرُورِ

(١) « سير أعلام النبلاء » (١٤/ ٥٢٥).

(٢) « سير أعلام النبلاء » (٧/ ١٧).